[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في التاريخ السياسي المعاصر:

المسألة الفلسطينية
وهل دخلت في دور الفصل

لمحرر «الثقافة» السياسي

انتهت المسألة الفلسطينية فيما يرجى إلى مرحلة الفصل، ففي أيام قلائل ينعقد في لندن مؤتمر دعت إليه الحكومة البريطانية لمعالجة هذه المسألة، وسيمثل فيه فضلاً عن الإنجليز والعرب واليهود، مصر وسورية والعراق وشرق الأردن والمملكة السعودية واليمن، بصفتها جميعاً ذات شأن وذات رأي في مسألة تهم جميع الأمم العربية والإسلامية.

وإقدام الحكومة البريطانية بعد [illegible] على هذه الخطوة الجديدة، يدل على تطور [illegible] البريطانية للمسألة الفلسطينية؛ فبعد أن كانت تعتبرها [illegible] مسألة إنكليزية استعمارية فقط تعالجها بإيفاد اللجان وإصدار القرارات، أضحت ترى فيها مسألة عربية إسلامية، يجب أن تعالج بهذه الصفة، واستطاعت أخيراً أن تقدر ما تشعر به الأمم العربية جميعاً نحو شقيقتها الصغرى، من العطف البالغ والتضامن الوثيق، وما لعواطفها ورأيها من قيمة يجب أن يحسب حسابها في مستقبل العلائق بين بريطانيا العظمى والعالم العربي.

والواقع أن المسألة الفلسطينية تبلغ اليوم ذروة التفاقم والتعقيد، فمنذ أكثر من عامين تشهد الأمم العربية، ويشهد العالم كله، في فلسطين، منظراً يحز الأكباد، منظر أمة مستضعفة عزلاء، تقاتل بكل ما وسعت في سبيل الاحتفاظ بحقها في الحياة الحرة الكريمة، وتأبى أن تخضع للاستعمار القوي ينزل بها أقسى ضرباته، ويحاول بجميع وسائل القمع أن يخضعها لصولته ومشيئته، وأن يخمد صوتها للحرية الذي ما انفك يرتفع، ويذكر بأن الأمم قوى معنوية هائلة لا تقهرها الجيوش.

ومنذ أكثر من عامين تخوض فلسطين ثورة الجهاد الدائم، فلا تقرأ عنها كل يوم سوى أنباء الحوادث الدامية التي جعلت منها وهي البلد الأمين الوادع، ساحة حرب مروعة لا تخمد أوارها.

وفلسطين لا تبغي مع ذلك حرباً ولا قتالاً، وكل ما تبغيه هو أن يرد إليها حقها المغصوب، وأن يرفع عنها كابوس الاستعمار اليهودي الذي فرض عليها بقوة النار والسيف، وأن تعالج قضيتها بما يحقق أمانيها القومية التي آمن بعدالتها الأصدقاء والخصوم على السواء.

* * *

خرجت فلسطين من الحرب الكبرى كما خرجت [illegible] الأمم العربية مثقلة بأغلال الاستعمار والاحتلال الأجنبي، [illegible] أصيبت دون غيرها بمحنة لا مثيل لها، [illegible] وضعها تحت الانتداب البريطاني، [illegible] اليهود، وفقاً لتصريح أصدرته الحكومة البريطانية منذ قبيل نهاية الحرب بعام (نوفمبر سنة ١٩١٧) وهو تصريح بلفور الشهير الذي يبدو اليوم بكل شناعته وكل ما ينطوي عليه من أخطاء سياسية وتاريخية، والذي يخلق اليوم من المسألة الفلسطينية للسياسة البريطانية مشكلة من أعقد المشاكل وأخطرها.

كان التصريح بالقول بإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين وليد ظروف وعوامل خاصة، وكان نتيجة لمناورات السياسة والمصالح المتبادلة، في وقت اشتد فيه الأمر على بريطانيا وحلفائها، وعرفت اليهودية أن تنتهز الفرصة السانحة، وأن تستدر عطف الحلفاء على قضيتها، وأن تصور حلمها القديم في صورة أمنية قومية يسهل تحقيقها إذا آزرها الحلفاء، كما آزرتهم؛ وكانت فرنسا أول من استجاب لدعوة اليهودية، فوجهت حكومتها إلى رئيس اللجنة الصهيونية التنفيذية في يونيه سنة ١٩١٧ تصريحاً

رحبت بالعطف والتأييد مشروع الوطن القومي اليهودي ، ثم تبنتها الحكومة البريطانية ، فأصدرت تصريحاً في ٢ نوفمبر من نفس العام في صورة خطاب وجهه اللورد بلفور وزير الخارجية إلى اللورد روتشيلد عميد اليهودية الانكليزية ، وتلي في مجلس العموم البريطاني ، وهذا نصه : « إن حكومة جلالته تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وسوف تبذل ما في وسعها لتحقيق هذه الغاية . ومن المفهوم أنه لن يعمل شيء مما قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، ولا الحقوق أو المركز السياسي التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر » .

ولم تمض أسابيع قلائل على ذلك حتى دخلت الجيوش الانكليزية فلسطين والمشرف على بيت المقدس [illegible] وبدئ في الحال بتطبيق عهد بلفور ، وفتحت فلسطين على مصراعيها للمهاجرين اليهود من سائر أنحاء العالم ، [illegible] أمام خطر جديد لم يلبث أن [illegible] إنما يهدد الأمة الفلسطينية في صميم كيانها ووجودها .

ويكفي لكي نقدر فداحة هذا الخطر الذي يصل اليوم إلى ذروته أن نلقي نظرة على أرقام الهجرة اليهودية : ففي سنة ١٩٢٢ ، بلغ سكان فلسطين ٧٥٧,٢٠٠ نسمة منهم ٨٣,٧٩٤ من اليهود والباقي من العرب . وفي سنة ١٩٣١ بلغ عدد السكان ٨٤٣,١٣٢ منهم ١٦٢,٤٦٧ من اليهود ؛ ويبلغ عدد السكان اليوم نحو مليون ومائة ألف ، منهم زهاء ٤٠٠ ألف من اليهود ، أعني نحو أربعين في المائة من مجموع سكان فلسطين ؛ فإذا أضفنا إلى ذلك ما تتمتع به هذه الأقلية القوية من وسائل التكافح الاقتصادي والاجتماعي ، وما تحظى به من نفوذ قوي في الحكومة وفي جميع المرافق العامة ، مما يجعلها في الواقع في مركز الأكثرية المتحكمة ، أدركنا أي خطر داهم يهدد الأمة الفلسطينية ويقض مضاجعها .

على أن خطر اليهودية على فلسطين لا يقف عند هذا الحد ، فإن اليهودية لا تخفي أنها تنظر إلى فلسطين كأنها أرض الوطن القديم وتراث الآباء والأجداد ، وهي ترجع في نظرتها هذه إلى ما قبل ألفي عام . وقد كانت اليهودية المشتتة في أنحاء العالم تعتبر فلسطين دائماً مثوى تراثها الروحي ؛ ولكن الصهيونية تذهب إلى أبعد من ذلك فتعتبر فلسطين ميراث اليهودية المغصوب ، ومقر الوطن القومي اليهودي ؛ وهي لا تذكر في ذلك حكم التاريخ وقد قضى بأن تؤول فلسطين إلى الأمة العربية ، وأن يفتتحها العرب منذ ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً لتغدو من ذلك التاريخ محط هجرتهم ومثواهم وميراثهم القومي .

ومن ثم فإن الصهيونية ، اعتماداً على هذه النظرية الباطلة ، تطمح إلى تحويل فلسطين إلى أرض يهودية ، ولكنها تخفي غايتها الحقيقية وراء الاعتبارات الاقتصادية ، فتزعم أن [illegible] تنبع من الوجهة الاقتصادية فحسب [illegible]

[illegible] العرب لم يفتهم منذ الساعة الأولى أن يفطنوا إلى ذلك الخطر الذي يهدد كيانهم ، فمنذ عشرين عاماً تكافح فلسطين هذا الخطر بكل ما وسعت ، وتضطرم بالثورة من آن لآخر ؛ وكان لها في سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٣ و ١٩٣٦ ، مواقف جهاد رائع ، تجلى فيها عزمها على الذود عن كيانها ووجودها صريحاً قاطعاً ؛ والسياسة البريطانية فيما بين ذلك تلجأ إلى وسائل القمع أحياناً ، وتكتفي بإرسال اللجان ، واتخاذ القرارات النظرية ؛ وقد أيدت هذه اللجان غير مرة عدالة قضية العرب فيما أصابهم من ضروب الحيف والظلم ، وفيما وقع على حقوقهم المشروعة من صنوف العدوان .

ولم تذق فلسطين منذ ورثتها الأخيرة ، أعني منذ نحو ثلاثة أعوام ، طعماً للسكينة أو الاستقرار ؛ وجربت الحكومة البريطانية وسائلها في حلتها المعروفة ، فأرسلت لجنة ملكية

جديدة رأتها الحوزة بعد عرض المسألة الفلسطينية من جديد ، وتقديم ما تراه من مقترحات لحلها ؛ فقامت اللجنة بمهمتها ، وتقدمت في صيف سنة ١٩٣٧ بحل غريب هو أن تقسم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية ، وأن تبقى مدينة القدس منطقة دولية تحت الانتداب البريطاني ، وخصت الدولة اليهودية بالقسم الغربي الساحلي الذي يحتوي على أخصب وأغنى البقاع ، وخصت الدولة العربية بالقسم الشرقي الصحراوي مع اتخاذ ثغر يافا مخرجاً بحرياً له . على أنه ما كاد يذاع مشروع اللجنة لتمزيق فلسطين بهذه الصورة ، حتى قابله العرب بأشد السخط والإنكار ، وبادرت الأمم العربية إلى إبداء تضامنها الوثيق مع شقيقتها الصغرى ، فاحتجت على مشروع التقسيم بصفة رسمية ، واضطربت عواصم العالم العربي كلها بالاحتجاج ، وأعربت الحكومة المصرية في ... عن تأييدها لفلسطين ، وأعلنت ... ووجهة نظرها في وجوب العمل ... وتحقيق أمانيهم .

وهكذا فشل مشروع التقسيم منذ البداية ، ولم تشعر الحكومة الإنجليزية ذاتها بحماسة في قبوله ، وكان لما شاهدته من صداه السيئ في العالم العربي بلا ريب أكبر الأثر في عدولها عنه ، وفي اتجاهها إلى البحث عن سبل أخرى لحل المسألة الفلسطينية ؛ وكان أن انتهت بعد أكثر من عامين إلى اتخاذ خطوتها الأخيرة من الدعوة إلى مؤتمر عام تشترك فيه الأمم العربية كلها ، يعقد في أواخر يناير الحالي أو أوائل فبراير .

* * *

ومن الصعب أن نتكهن الآن بشيء عن نتائج هذا المؤتمر ؛ غير أنه يلوح لنا من الحلول التي تقترحها بعض الدول العربية مثل العراق ، وشرق الأردن ، والمملكة السعودية ، والتي أذيع بعضها أخيراً ، أن الرأي مستقر على تأييد فلسطين في المطالبة بأمرين جوهريين ، الأول إلغاء الانتداب البريطاني ، والثاني إلغاء تصريح بلفور بإنشاء الوطن القومي اليهودي ووقف الهجرة اليهودية ؛ والمرجو أن تكون السياسة البريطانية مقتنعة بوجوب الاستماع إلى هذين المطلبين العادلين اللذين يعتبر تحقيقهما شرطاً جوهرياً لأية تسوية للقضية الفلسطينية يمكن أن يرضاها العرب .

وعلى أي حال ، فإن أي حل لا يكفل للعرب حقوق الأكثرية في بلادهم لا يمكن قبوله ، ولابد أن يحصل العرب على الضمانات اللازمة بأن يبقى اليهود داخل فلسطين أقلية محدودة ؛ وألا تطغى هذه الأقلية بأي حال على حقوق الأكثرية صاحبة البلاد .

أما الأساس الجديد الذي يمكن أن تبنى عليه علائق فلسطين وبريطانيا العظمى ، فليس من العسير الاتفاق عليه ، ومن الممكن أن تنظم هذه العلائق بمعاهدة فلسطينية بريطانية تحقق للعرب أمانيهم القومية ، وتكفل في الوقت نفسه مصالح ... الدفاع عن المواصلات الإمبراطورية ، ... أن بريطانيا العظمى تكسب كثيراً بتحقيق أماني العرب ، ولا يقتصر كسبها على تحويل فلسطين من معسكر خصيم إلى أمة حليفة فقط ، بل يتعدى ذلك إلى تدعيم صداقتها مع باقي الأمم العربية والإسلامية ؛ فأماني فلسطين ، إنما هي أماني العالم العربي والإسلامي كله ؛ والسياسة البريطانية ليست في حاجة إلى المزيد للاقتناع بهذه الحقيقة الساطعة ؛ وإذا كانت بريطانيا اليوم أشد ما تكون حاجة إلى الصداقات فإن العالم العربي كله قد يبدو لمصادقتها يوم تحل مسألة فلسطين حلاً منصفاً .

وإن مصر لتغتبط إذ تضم صوتها في مؤتمر لندن إلى صوت الأمة الفلسطينية الشقيقة ، مؤيدة مطالبها مصرة على وجوب إنصافها ؛ وإن الشعب المصري كله ليبتهل إلى الله أن يحقق أماني الشقيقة العزيزة حتى تستطيع بعد طول الكفاح أن تتبوأ مكانتها الحقة بين الأمم .

(* * *)

الظرف والظرفاء

للأستاذ أحمد أمين

لما بلغت الحضارة الإسلامية أوجها، في العصر العباسي، وامتزج العرب والفرس والهنود والأتراك وغيرهم من الأمم، وكثرت الأموال وكثر الترف، تأنق الناس في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم وحديثهم وطرق حياتهم، ونتج عن ذلك وجود عادات وتقاليد للطبقة المهذبة من تمسك بها عد ظريفاً، ومن خرج عنها عد ثقيلاً؛ ورأينا الناس في تلك العصور يتشوقون إلى الظريف ويشيدون به ويتأنقون في تقديره والحفاوة به. وكتب الأدب تعج بنوادر الظرفاء في أحاديثهم وأفعالهم، وذلك من أكبر ما يدل على رقة الذوق وسموه.

ومن أظرف ما في ذلك الباب كتاب عجيب اسمه «الموشى» ألفه أديب اسمه أبو الطيب محمد بن إسحق ابن يحيى الوشاء، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وفي أوائل الرابع، ولم نعرف حياته بالتفصيل، ولكنا نعرف أنه كان نحوياً، وأخذ النحو عن مشاهير النحويين أمثال ثعلب والمبرد، وأنه كان معلماً في كتّاب ببغداد، وألف كتباً كثيرة في النحو واللغة والأدب.

ولعل أظرف كتبه كتاب «الموشى» هذا؛ وقيمته الكبرى جاءت من أنه حاول فيه أن يضع قوانين للظرف والظرفاء، وأن يبين عادات الظرفاء في نواحي حياتهم؛ وكان غريباً من نحوي، ومن معلم كتّاب أن يتجه هذا الاتجاه، فقلّ أن يتجه إليه إلا الأرستقراطي في نزعته أو في بيئته، متصل بالطبقة الراقية، واقف على عاداتها، ولكنا نجد في تاريخ حياته أنه كان يعلم بعض حظايا الخلفاء، فهم يذكرون أن «شنية» إحدى جواري «المعتمد على الله» كانت من تلاميذه، وأنه كان يعلم في قصور الخلفاء. فلعل هذه النزعة جاءت من هذا الاتصال بالبلاط العباسي، وتأثره بما كان فيه من ترف ونعيم، وظرافة ولباقة.

في هذا الكتاب الصغير ثروة كبيرة من الذوق، وهو يحاول أن يضع قوانين الظرف. وفي هذا مشقة كبيرة، إذ أن هذا العمل يتطلب اطلاعاً واسعاً على معيشة طبقات الناس، وطرقهم في الحياة، كما يتطلب دقة في الملاحظة وسمواً في الذوق؛ وفوق ذلك فإن الذوق من قديم صعب تحليله، وصعب شرحه، وصعب ضبطه، ولكنه تغلب على هذه الصعوبات جميعها، ونجح في عمله نجاحاً كبيراً.

فهو يعقد فصلاً طريفاً عنوانه «شرائع المروءة ووصفها»، ينقل فيه أنظار الناس إلى ما هي المروءة، فيذكر أن بعض [illegible]: أي شيء أشد تهجيناً للمروءة؟ فقال: «[illegible] العلماء السلف، والفقهاء الورعين، [illegible]، والعامة الكتب». وروي عن ابن عمر أنه قال: «ما من رجل خلا أثقل من المروءة»؛ فقال له أصحابه: صف لنا ذلك. فقال: «ما له عندي حد أعرفه، إلا أني ما استحييت من شيء علانية إلا استحييت منه سراً». وكان أيوب السجستاني يقول: «لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عن الناس والتجاوز عنهم».

وهكذا ظل يروي آراء الناس من عرب وعجم، وغيرهم في المروءة، ثم استخلص قوانينها.

* * *

وعقد في الكتاب باباً سماه «سنن الظرف»، حدثنا فيه أنه كان يسأل العلماء والأدباء عن رأيهم في الظرف، ويسأل «بعض متظرفات القصور» عن رأيهن في الظرف، ثم قص علينا قصصاً قصيرة لحوادث جرت للظرفاء،

وكيف قالوا ، وكيف تصرفوا ؟ وخرج من ذلك كله إلى قوله : « إن الظرف أنبل ما اشتمله الفتاة ، وحبا إليه الأدباء ، وترتبوا به عند أودائهم ، وتحلوا به عند أخلائهم ، وربما تكلفه قوم ليسوا من أهله ، وإنه من المطبوعين أحسن منه من المتكلفين ، والمتكلف علامات تظهر في حركاته ، وتبين في لحظاته ، لا يسترها بصنعته ، ولا تغيب عن سره ، وإن المطبوع على الظرف ليشهد له القلب عند معاينته بحلاوته ، وتسكن النفس عند لقائه إلى مجالسته ، ودلالة واضحة في مشيه وزيه ولفظه » الخ . ومن رأيه أن أكبر علامات الظرف الحب ، وقد دعاه ذلك إلى أن يستعرض الحب وأنواعه ، وطائفة ممن أحبوا فعفوا ، وممن أحبوا فسقطوا ؛ وصور لنا صورة صادقة لبيوت القيان في بغداد في عصره ، وكيف كانت تتدفق فيها الأموال ، وكيف كانت تلعب القيان بعقول الشبان ، ويظهرن لهم الود والحب ، حتى يأتين على أموالهم ، فلا ... وطرد ؛ وتاريخ كل مدنية يعيد نفسه .

ثم أخذ يفصل ما أجمل ، فيذكر لنا عادات الظرفاء في كل باب من أبواب الحياة .

فقص علينا أن الظرفاء يتحرون في الملبس الألوان الزاهية ، فهو يقول : « ليس يستحسن لبس الثياب الشنعة الألوان ، المصبوغة بالطيب والزعفران ، لأن ذلك من لبس النساء ، ولبس القينات والإماء » . ويلتفت إلى شيء دقيق جداً ، وهو أن عادة الظرفاء مراعاة الانسجام في ألوان ما يلبسون ، فيختم الباب بقوله : « وأحسن الزي ما تشاكل واتفق ، وتقارب واتسق » .

وأبان عادة الظرفاء في لبس النعال وألوانها ، وزيهم في الخواتم والفصوص والتعطر والطيب ، والفروق الدقيقة في ذلك كله بين الرجال والنساء .

ثم ذكر عادة الظرفاء في الطعام ، فهم يصغرون اللقم ، ويتحرزون من الشره ، ولا يلحسون ما بين أيديهم من الرغفان ، ولا يلطخون أناملهم ، ولا يمخطون في مضغهم ولا يجاوزون ما بين أيديهم ، ولا يأكلون شيئاً من الكوامخ والمالح ولا يتغافلون في المائدة قبل أن تفرغ . الخ .

وقد ذكر أن أحب شيء إلى الظرفاء من الأزهار الورد ، ففضلوه على غيره وأطنبوا في مدحه ، وأفرطوا في نعت حسنه ، وشبهوه بوجنات الخدود ، وأهدوه إلى الظرفاء وحيى بعضهم بعضاً به ، فقال بعضهم :

عشية حيانا بورد كأنه
خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

وقال آخر :

نعم من الورد القليل بقاؤه ... وإنك لم يصحبك إلا فناؤه
... ووافى حبيب بعد طول جفائه

ولا يحب الورد عند الظرفاء في الأزهار ، إلا التفاح في ... التفاح يهش أصحابهم ، ويكون ... أطرافهم ، ولا في مبايهم ما يعادله ، ولا في أقلامهم مثلها كله ، وهو عند عامتهم رتبة أعلى ، وعند المستشاق لفضله حسن . وقد تفننوا في إهدائه ، وكتابة الأشعار ووضع الرموز عليه .

ثم تراه بعد ذلك انتقل من الظرف في الحسيات إلى الظرف في المعنويات ، فالأدباء الظرفاء « لا يداخلون أحداً في حديثه ، ولا يطلعون على أحد في كتابه ، ولا يتطلعون على مشكل كلامه ، ولا يستمعون على مستور سره ، ولا يسألون عما ورى عنهم علمه ، ولا يتكلمون فيما حجب عنهم فهمه ، والظرفاء لا يكثرون (في المجالس) ولا يتمطون ولا يفرقعون أكفهم ، ولا يشبكون أصابعهم ، ولا يعبثون بأنامليهم ، ولا يحكون أبدانهم ، ولا يتنفسون أنوفهم . . . ولهم حسن التأني فيما يرجونه ، ولطيف الحيل فيما يحاولونه ، وحق التلطف لما يطلبونه ، حوائجهم يسيرة ، وسرائرهم

مخفية، وحيلهم لطيفة، يوردون الأمور مواردها، ويصدرونها مصادرها».

ثم ذكر أنهم إذا أهدوا فهم يهدون الشيء «اللطيف الخفيف» كالتفاحة الواحدة والأترجة الواحدة، والقسب من الرطب، والطاقة من النرجس، وغير ذلك من الشيء القليل، فتستحسن هداياهم وتستظرف، ويفرح بها ويستطرف . . . ومن ذلك كتبهم الملح، وألفاظهم الفصاح، التي يستعطفون بها القلوب، ويستمرون بها العيون؛ وما يضمنونها من ملح الحكاية وطرائف العاتبة، وحيل الطالبة وشكل الداعية».

وقد أحال «ما يحكى عن ظرفاء الكتاب» على كتاب له آخر وضعه لهذا الغرض سماه «فرج المهموم» لم نعثر عليه.

غير أنه أورد في كتابنا هذا نماذج من مكاتبات الظرفاء نعرض للقارئ نموذجا منها: كتب [illegible] إلى محمد بن عبد الملك الزيات — [illegible] كوحشتي لك إذا لم أرك، وشغلي لك [illegible] لك في مشهدك، وإلى لقائك الأدوم، غير ممل ولا متغير، فتمنحني من مودتك، مرة ثانية تشركك، وكن لي كأنا، فوالله ما نهضت من تحيتك إلا وأنا أخشى القطوع إليك والسلام. فكتب إليه محمد — يا أخي ما زلت من مودتك، ولا حلت عن أخوتك، ولا استبطأت نفسي لك، ولا استزدتها في محبتك، وإني شخصك لأنأى عنك طرفي، وإنها يخلو من ذكرك قلبي، ولله در الذي يقول:

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى
لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
يذكرنيك الشوق حتى كأنني
أناجيك من قرب وإن لم تكن قربي

وكتب بعض الظرفاء إلى صديق له: «أبقاك الله ووقى الأدب من النزوع إلى الجفاء، وجعل آخر سخطك موصولاً بأول الرضا، والسلام».

وهكذا يمضي في استعراض نماذج للظرفاء من النثر والشعر. ثم يحكي لنا ما كان ينقش فيه الظرفاء من نقش حلي فضة أو أشعار رقيقة على خواتيمهم وعلى تفاحهم، وما كان ينقشه ظراف الجواري على قمصانهن وأرديتهن وأكمامهن وعصائبهن ومناديلهن وزنانيرهن، وعلى حواشي ونعالهن، وما كن يكتبنه بالحناء على راحتهن وأقدامهن، وما كان يكتب الظرفاء من الأشعار الرقيقة على القناني والكؤوس والأقداح وأواني الفضة والذهب، وعلى آلات الموسيقى من العيدان والطبول والدفوف والنايات، وما كان ينقش [illegible] الأدباء من إهداء أقلام قد نقش عليها [illegible].

[illegible] كتابه بقوله: «هذه جملة ما بلغنا وفيها كفاية [illegible] بيت وأنفق، وما استوعبنا كل [illegible] قصدنا إلى تكثيره لما استصعب علينا، وقد أوردنا بعض ما بلغنا، ووصفنا بعض ما استحسنا . . . وإلى الله نرغب في السلامة والسلام».

هذا عرض سريع لكتاب واحد في الظرف والظرفاء يدلنا على ما كان للحضارة الإسلامية من عناية حتى في أدق الأمور وأرقها وألطفها، وأنها لم يفتها شيء، حتى في وضع قوانين اللياقة أو «الاتيكيت» كما يسمونها، وأن ذلك الكتاب القيم يصف حالة اجتماعية رآها مؤلفه، وقد مضى عليها الآن أكثر من ألف عام، فماذا تكون شأنها لو سارت في طريقها من غير أن يعوقها عائق أو يصدمها صادم[1]؟

أحمد أمين

---

(١) يسمى هذا الكتاب كتاب الموشى وقد طبع في ليدن سنة ١٨٨٦ طبعة أنيقة، ثم طبع في مصر سنة ١٩٠٧ طبعة رخيصة وضيعة.

الثقافة والنظر الأخلاقي

للأستاذ محمد خلف الله

المدرس بكلية الآداب

يستعمل الكتّاب المعاصرون كلمة «الثقافة» ويعنون بها في الغالب ما يعنيه إخوانهم الغربيون من كلمة (Culture) وقد اقترن حظ الكلمة العربية بحظ نظيرتها من حيث الرخاوة، فمشكل تحديدها في معنى الثانية يتردد صداه في معنى الأولى.

فأما الكلمة الغربية فقد ظلت حينا غير واضحة المعالم، خصوصا بين علماء الاجتماع وعلماء الإنسان، فكان ما يسميه الأولون إنتاجا أو تراثا اجتماعيا أو تقاليد، يسميه الآخرون ثقافة ويعرفونه بأنه «مجموع ما أنتج الإنسان من حضارة»، وأحيانا يجعلونه هو و (Civilisation) مترادفين، ومنهم من لا يجعلهما كذلك فيعتبر الثقافة أوسع مدلولا من المدنية، إذ الأولى تشمل الأنظمة والمعتقدات التي صاحبت الإنسان الأول في أدوار رقيه من وحشية وهمجية وحياة فطرية ساذجة، حتى وصل في سلم الترقي إلى ما يسمى بدور المدنية. على أن كثيرا من علماء التاريخ والاجتماع، إذ يستعملون (Culture)، إنما يعنون بها على العموم الصفات العامة المميزة لحياة قوم من الأقوام.

* * *

أما كلمتنا العربية فهي في قواميسنا اللغوية أحد مصادر ثقُف (على وزن كرُم) أي صار حاذقا خفيفا فطنا، والثِّقاف ما تسوَّى به الرماح وثقّفه (بالتشديد) سوّاه، فالمادة كما ترى في مدلولاتها الأصلية والمجازية تفيد الوصف بالحذق والخفة وكون الشيء أو الشخص مسوّى مقوما،

ونحن في أسلوبنا العادي إذ نصف شخصا بأنه مثقف نعني أنه وافر الأدب، حر التهذيب، مصقول الجوانب. وقد توسع معنى ذلك كونه على حظ من العلم والأدب والمعرفة، ووضع المناهج للطلاب تنفرد فيها طائفة من البحوث العامة في الآداب والفنون لتسميها «ثقافة عامة»، ونؤلف في الأدب فنبحث أثر الثقافات المختلفة فيه، ونفرق بين طوائف الكتاب والشعراء نقدا، فنقول إن ثقافة هذا عربية خالصة، وإن هذا قد أخذ بحظ من الثقافة الإنجليزية أو الفرنسية، وإن ثقافة من نوع خاص تغلب في هذه أو تلك من المدارس.

ولو أن سائلا سألنا: «ما الفرق بين الثقافة والمدنية؟» لكان من المحتمل أن يجيب بعضنا: إنهما مترادفان، ويجيب آخرون: إن الثقافة ناحية من نواحي المدنية، وقد يجيء بعضنا بجواب غير هذين.

* * *

[illegible] كثير الورود في الدراسات الاجتماعية الحديثة محاولة بعض العلماء المحدثين من الغربيين (وعلى الخصوص من الألمان والإنجليز) أن يحددوا معنى كل من اللفظين، فاعتبروا الثقافة (Culture) الناحية الروحية من حياة الناس، والمدنية (Civilisation) الناحية المادية منها: فثقافة أمة ما — على هذا — تشمل دينها وأدبها ونظمها الأخلاقية وتقاليدها وأساطيرها والنواحي الوجدانية من فنونها، أما علومها ومخترعاتها وما إلى ذلك من جوانب حياتها فإنها تدخل تحت مدلول المدنية.

* * *

وبعد فإن أهم ما يقصده العلماء من مثل هذا التحديد أن يحللوا الظواهر الإنسانية إلى عواملها، حتى يصلوا بتحليلهم إلى البسيط منها، وحتى يضعوا دراسة الإنسان في مختلف شعبها على أساس علمي مضبوط. وقد خطوا في هذه السبيل خطوات موفقة فحددوا مفاهيم الذكاء

والنبوغ والعاطفة والوجدان والخلق والمزاج وطائفة أخرى كثيرة من المقاييس لم يكن الناس يتفقون على مدلولاتها في خطابهم أو في كتاباتهم. وفكرة الثقافة تشغل الآن حيزاً كبيراً في دراسات علم النفس الاجتماعي، وعلى الخصوص ما ارتبط منها بموازنة ثقافة بثقافة، أو بدراسة تأثير إحدى ثقافتين في الأخرى.

هذه الناحية الأخيرة من دراسة الثقافة — أي طرافتها — تهم مصر بوجه خاص، وذلك لأن بلداً لا يزال يرسل من خيرة شبابه المثقفين مجموعات كبيرة إلى الممالك الراقية، يدرسون في معاهدها، ويعيشون بين أهلها، ويأخذون بحظ كبير من آدابها وعلومها، وهم لا شك يحملون معهم إلى الخارج نوعاً من الثقافة [illegible]. فما يلقون عصا التسيار في بلد غربي حتى [illegible] متعددة ذات مظهر واضح في حياتهم [illegible] الثقافتان، وتتبادلان التأثير، كما [illegible] الحياة فيها. وإذا عرفنا أن كثيراً [illegible] في الخارج عدداً من السنوات، أدركنا [illegible] القلق في البيئات الأوربية المختلفة، وما قد ينجم عن ذلك عند رجوعهم إلى مصر من اختلاف في وجهات النظر وفي المقاييس الأخلاقية والاجتماعية التي تنظم سلوك الأفراد وتفكيرهم.

شغلت هذه الناحية بعض مفكري المصريين في الخارج، فجعلوها موضوع المحاضرة والمناظرة في النادي المصري «بلندن» وفي نادي الرابطة «بكمبردج» وعمل عليها بحث «سيكولوجي» يتناول أثر الثقافة في النظر الأخلاقي، وفيه درس مجموعتين مختلفتين ثقافة، ومتشابهتين عدداً وذكاء وتعليماً (على قدر المستطاع): إحداهما مجموعة الطلبة المصريين في الجامعات الإنجليزية، والأخرى مجموعة مساوية لها من الطلبة الإنجليز في جامعة لندن.

وأهم ما يلفت النظر من نتائج هذا البحث أن أنواع المقاييس الأخلاقية لم تختلف كثيراً في المجموعتين، فقد انقسم أفراد كل منهما — من حيث وجهة النظر في الحكم على بعض الحوادث الأخلاقية — أربعة أقسام:

(١) فريق جعلوا نصب أعينهم ما يترتب على العمل من نتائج مادية.

(٢) وفريق غلبوا جانب الأثر الاجتماعي للعمل الذي يحكمون عليه.

(٣) وآخرون نظروا إلى وحي الضمير فقرروا أن الأعمال بالنيات وأن لكل امرئ ما نوى.

(٤) وفريق رابع نظروا إلى الناحيتين معاً: ناحية الضمير، وناحية الأثر الاجتماعي، واعتبروهما متكاملتين لا غنى لإحداهما عن الأخرى.

ومن الطريف أن تطبيق هذا البحث — في شكل مبسط — على حوالي ثلاثة من الأطفال الإنجليز بين [illegible] من العمر، برهن على أن هذا [illegible] سنه — موجود بين الأطفال أيضاً.

ولما نظرت إلى الأفراد من حيث موقفهم من مصدر المسئولية الأخلاقية وجدتهم ينقسمون فرقاً قريبة من هذه، فمنهم من أخذ المسئولية كأمر يفرضها عليه سلطان خارجي، ومنهم من يستمد سلطانها من العرف والاجتماع، ومنهم من رجعها إلى وازع الضمير، ومنهم من يعتبرها منبعثة عن مصدرين: صوت الضمير، وروح الاجتماع.

كذلك تشابهت المجموعتان من حيث القواعد العامة التي كانت هادية لأفراد كل منهما في حكمهم على بعض الجرائم الأخلاقية:

أ — فأفظع الجرائم في نظرهم ما أدى إلى انتهاك حرمة الحياة الإنسانية وخرق نظام العدل بين الناس.

ب — وأقل من هذه سوءاً ما عاد بالضرر على الناس وزعزع الثقة والاطمئنان بين الأفراد، كالسرقة والكذب والنفاق.

ح — وأقل الأنواع فيما تلك التي يمكن أن تعتبر عاملين في ذلك مركبا ، يوضعها في شخصيته ، ولا يتعدى أثره في الغالب إلى غيره من الناس ، كالسكر ، والجرى وراء الشهوات الجنسية غير المشروعة

* * *

أما ناحية الخلاف بين الثقافتين ، وهي التي تهمنا أكثر ، فقد تحدث — لا في الفروق بين المصريين والإنجليز فحسب — ولكن أيضا بين المصريين أنفسهم ، حسب مدة إقامتهم في إنجلترا

ظهر أحد هذه الفروق في موقف أفراد كل من المجموعتين تجاه المشكلات الأخلاقية والاجتماعية التي تواجه الناس في حياتهم اليومية : من تعارض العقل والرغبة ، وتصادم المبادئ الروحية والمادية ، والترابط بين إطاعة السلطة من جهة ، والتمسك بالحرية الشخصية من جهة أخرى . فقد جاءت إجابات الإنجليز [illegible] مقررة لمبدأ الفردية ، فالفرد هو الذي يحكم بين عقله ورغبته ، وهو الذي يحاول أن يفهم الدين والقانون فهما مستقلا ، والحرية الشخصية مقدمة عندهم على إطاعة السلطة (إلا عند ٣٠٪ منهم وهؤلاء اشترطوا أن تكون السلطة عادلة) .

أما الإجابات المصرية فقد دلت على نقص ظاهر في نواحي الحرية الفردية ، وتجلى الأفراد في مظهر المغلوب على أمره ، الذي تدور به رغباته الجامحة فلا يستطيع إلى ردها سبيلا ، وكانت الغالبية المصرية في جانب إطاعة السلطة إذا تعارضت ومبدأ الحرية الفردية

اختلفت وجهة النظر الأخلاقي عند المجموعة المصرية — كما أشرنا — حسب اختلاف المدة التي قضاها كل فرد في إنجلترا : فالوافدون حديثا من مصر لا يرون في السلوك الإنجليزي شيئا كثيرا جديرا بالإعجاب ، ولا يرون في الأمثلة الإنجليزية (الأخلاقية والاجتماعية) شيء كثير يستحق أن يوصي المصريون بتقليده ، وآراء هذا الفريق الذي لم تمض عليه بعد سنة واحدة في إنجلترا ، تبرز النتيجة التي وصل إليها البحث ، وهي أن الغالب أن هذه السنة الأولى سنة مقاومة فعالة أو سلبية من جانب القادم الجديد لما حوله من الظروف والمؤثرات ، فهو ينظر إلى كل شيء نظرة قلق وإبهام ، وهو مشغول بأن يثبت نفسه في هذه الأرض الغريبة ويتغلب على صعوبات اللغة وظروف الاجتماع

أما الفريق الثاني وهم الذين مضى على إقامتهم في إنجلترا سنتان أو ثلاث أو أربع ، فقد أثبت البحث وجود ظاهرتين متعارضتين فيهم تنفي إحداهما الأخرى وتجر إليها : الأولى تفكك في الشخصية ، وإهمال لقوانين الأخلاق ، وإطاعة للرغبات والأهواء ، واستهتار بالعرف والخلق ، والثانية [illegible] الخلق من جديد ، وتهذيب الوجدانات والانفعالات [illegible] ، والاقتداء بالإنجليز في عاداتهم وتقاليدهم ومعالجتهم الأمور في روح الحكمة والحزم ، وتوفيقهم بين حرية [illegible]

[illegible] في الفريق الثالث (وهم من زادت إقامتهم على أربع سنوات أو خمس ، وفرغوا من دراستهم وأوشكوا أن يشدوا رحالهم إلى وطنهم) أنهم مشغولون بتنظيم شخصياتهم ، والتوفيق بين عناصرها ، وإقرار كل شيء في نصابه ، واعتبار الأخلاقية مظهرا للشخصية الكاملة يتعاون فيها الظاهر والباطن ، والنظر إلى الدين لا على أنه نظام مفروض فرضا ، ولا على أنه شيء يقبع وراء الظهور ، ولكن على أنه شريعة منظمة للحياة ، موجهة لها ، معينة على إصلاح نواحيها المختلفة . وإذا سئل هؤلاء : «ما الذي تظنون أنكم استفدتموه مدة إقامتكم في إنجلترا ؟» أجاب معظمهم : «تهذيب الشخصية واتخاذ ذوق أخلاقي حر مستقل للسلوك»

وقد يطول بنا القول لو أننا أردنا الاستشهاد لما ذكرنا من النقط ، ولكنا نكتفي بذكر النتائج العامة التي أدى

(البقية على صفحة ١٧)



عادت الفتاة بعد أسبوع وطرحت أمامي الكتاب، وتنفست الصعداء كأنها تلقي حملا ثقيلا [illegible] أكتافها وأنا أحد البصر إليها قلقا:

— أقرأته ؟

فتحاشت النظر إليّ، وقالت:

— بضع صفحات وضاق صدري ...

فتنفست الصعداء أنا بدوري، [illegible] ... إنها إذن لم تعرف شيئاً مما احتواه. غير أن شعور الراحة هذا لم يطل كثيراً. فسرعان ما [illegible] الأمر، وأحسست الأسف والغيظ وخيبة الرجاء لما حدث. والتفت إليها وملء صوتي الحنق:

— إذن فشلت التجربة!

فقالت وهي تمسح شفتيها بأصبع الأحمر:

— ليس الذنب ذنبي.

لم يعجبني هذا الجواب. ولم أرض كثيراً عن مسلكها. وهممت أن أثيرها طالبا إليها أن تكف عن هذا التزين والتصنع في حضرتي، وأن تعرض قليلا عن احترام الشكر ... ولكني ذكرت أن ليس لي عليها هذا الحق، وأن الذنب حقيقة ذنبي؛ إذ أسرفت في حسن الظن بها، ووضعت بين يديها كتاباً لا تستطيع أن تقدر قيمته.

وفرغت من أمر تبرجها، فالتفتت إليّ وقرأت في وجهي كل تلك المشاعر، فابتسمت وقالت:

— أغضبت؟ ألم تقل لي إنك تكتفي مني بقراءة سبع صفحات؟ ها أنا قد فعلت!

نعم. لقد فعلت ما قلت حقاً. فما الذي أغضبني؟ لا شك أن في نفسي شيئاً مجهولا تبعث منه كل هذه المشاعر الناقصة. فنظرت إليها وقد عاد إليّ الهدوء:

— نعم ....

ثم تفكرت قليلا وقلت وأنا أعبث بصفحات الكتاب:

— وما الذي صدك عن المضي في قراءته ؟

— [illegible] بطالة!

[illegible] قليلا!!

— إنه ليس كتابا مملا. شهد الله لقد استيقظت في جوف الليل لأقرأ فيه. ولم يستطع النوم أن يفرق [illegible] وهو معي!

فقالت في إشاحة ناصحة:

— لا أنكر. إنك تحب سير الرهبان والمتزهدين. أما أنا فما الذي يحملني على متابعة القراءة في صفحات كلها وصف لنساك الصحراء، الذين يعيشون في كهوف الرمال مع العقارب والثعابين، ويتلفون شبابهم وأعمارهم مع أطياف الملائكة وأشباح العفاريت؟!

ونظرت الفتاة حولها على الرغم منها. وجال بصرها في المكان. واتخذت مكانها قريباً من أكداس الكتب القديمة المرصوصة كأنها القبور تحوي أفكاراً بغير جماجم وأرواحاً بغير أجساد، إلى النافذة المغلقة التي تحجب الشمس

والهواء كلها موجة حب أو كره ... إلى ذلك المصباح الأخضر الذي يشرف على حواشي القاعة بأضوائه النورانية كأنه ملاك لطيف، ويعترض في ذلك الوقت أشعار ليالي الحياة لو أنه غول أو عفريت مخيف!

وقد بصرها من هذه الرحلة القصيرة في أنحاء المكان ووقع عليّ. وأحسست شعاع عينيها ينفذ في روحي فأطرقت.

وساد صمت قطعته الفتاة بقولها:

— إني رأيتك أولاً ...

قالتها في صوت منخفض وكأنها تخاطب نفسها. فرفعت رأسي وقد سرت في جسمي رعدة، وأردت أن أستفسر منها عن معناها، ولكنها سبقتني في الكلام:

— أتذكر يوم جئتك أول مرة، ورأيت نور الشمس لا يدخل هذا المكان؟

فقلت كمن لا يفهم المقصود:

— نعم .. أذكر.

فمضت تقول:

— أتذكر ماذا أجبتني عند ذلك؟

فقلت:

— لا .. لست أذكر.

فقالت في فتور:

— لقد كان جوابك: إنا نكتفي دائماً بالنور الذي في نفوسنا!

فقلت كمن يؤمن على قول صحيح أو نص صادق:

— هذا صحيح.

فبادرت تقول:

— لا .. هذا ليس بصحيح.

فحملقت فيها دهشاً .. ورأيت الدماء تحتقن .. فقالت باسمة:

— أدهشك هذا القول؟ أظنك ستدهش أيضاً إذا قلت لك شيئاً آخر!

— ماذا ستقولين؟

— شيئاً لا يخطر لك على بال.

— إن خيال الروائي يتسع لكل شيء!

فابتسمت متردية:

— إذاً .. سأقول ..

ثم أطرقت حيناً:

— إني أقول وأشرق .. إنك بارع في التشويق.

فقالت في تؤدة:

— أريد أن أرجو منك أن تشرفني بالحضور لتشاهدني في لعب « القيس » مساء الغد.

فنظرت إليها مدة لأرى مبلغ جدها من هزلها، ونظرت إلى فتنة ترى مبلغ عجلي من نفسي .... وفكرت ... أيمكن أن أرفض قول هذه الفتاة؟! لكن ... قبل كل ... ولنا نقد الأمور باللين والرفق.

— أيتها الآنسة .. ماذا تقصدين؟

فنظرت إليّ بعينين مستحيتين:

— أكلامي مظلم مظلم يحتاج إلى نور كثير!

— من نور قلبك.

فحدجتني بنظرة غريبة:

— تقول هذا، أنت الذي اتخذت الحياة فيما هو مظلم مظلم! ...

فصدمتني هذه الجملة .. ولكنها أسرعت تشير بيدها إلى المكان:

— لست أقصد طبعاً غير هذا!

ثم أطرقت حيناً .. ولبثت بلا حراك أنظر إليها وأسائل نفسي: أتراها ترسل الكلام بسيطاً بريئاً، أم أنها تعطي كلامها معنى ثانياً أخرى غير المدلول الظاهر؟ إذا كان هذا الأمر الأخير فهو يحق من العجب! ولي أن أبحث

عما ترمي إليه أولاً ، وعما علمها لغة الرموز ثانياً . على أنه يحسن بي أن أحتاط بلاتي ، ومنها يوم منه عن أنجاه سبيه ، ويمنعني دائماً أن أنتبه ، القلق بهواجسي . فلبثت هذه أول مرة تختلط فيها الأشياء برأسي . إن خيالي الذي الفاز طويلاً خلق الأشباح من الحقائق . ووهبني الذي نعمى مخلوقات ، بعضها يمشي في الحياة وبعضها يمشي في الكتب . ونفسي التي تسبح في أعماقها عوالم ، وتقوم على أطلالها دول وتدول دول ، وتشرق شموس وتغيب شموس . ووهبني العزلة التي تدور في فلك لها يستمدها بعيدة عن مدار الأرض . كل هذا يقصيني أحياناً عن حقائق هذه الحياة . ويضعني في موضع من يرى الدنيا من خلال كرة بلورية يحملها بين يديه ساحر ، فوق دخان البخور وضباب الأوهام ! على أن هذا الساحر في حالتي إنما هو أنا نفسي ... أنا التي صنعت بيدي كرة البلور . أنا التي خلقت من مادة دمي دنيا أخرى ، مماثلة للأولى . أنا ... في كف . وإذا أنا أخدع بالكرة ... على الأمر . وما تعب أحد على الوهم ... الحقيقة . نعم ، تلك كارثتي الكبرى . وتلك هي النقمة التي تحل على كل ساحر !

* * *

واسترسلت في تأملاتي حتى نسيت وجود الفتاة ، وإذا صوتها الرقيق يطرق ويخرجني إلى منطقة الوعي .

— لم ألق جوابك بعد . ألانك تشاهدني هنا ؟

— تشاهد ناسا هنا ؟

— في كتب « التليس » كما قلت لك .

فقلت كالمخاطب لنفسي :

— ما شاء الله ! ما شاء الله !

فقالت باسمة :

— ليس هذا جواباً .

فقلت حانقاً :

— أضحكك وأضحى نفسي لهذا النجاح الباهر ! لم يكفنا العجز من إدخالك عالم التفكير ، حتى صعق أنت على إخراجنا إلى عالم اللعب !!

فرأيت منها أنها ضحكت ... نعم ، ضحكت بفمها الجميل ضحك السرور المرح ، ومضت في ذلك وأكثرت ، حتى كانت تضحكني ، وتضحك على خلال موقفي ، وعلى طيشي الخالد ، وعلى سر العلاقة التي بيننا ، وعلى الغاية التي ترمي إليها ، فلبثت عيني في الخلال ، وقلت في شيء من الصرامة :

— أخبريني ، كيف خطرت لك هذه الفكرة ؟ وما الذي دعاك اليوم إلى مثل هذا الطلب ؟ وكيف تهيأ لك أن تحدثني في مثل هذه الأشياء ؟ ولماذا ؟ ..

فقاطعتني قائلة :

— السبب بسيط .

... !! فاستحثثتها :

... هو السبب البسيط ؟

فرفعت رأسها :

— تلك الصفحات التي قرأتها من كتاب « تاييس » ألهمتني أن الراهب « بافنوس » هو الذي ذهب إلى الغانية في ملعبها ليتشلها . أنت أيضاً ينبغي أن تفعل ذلك . يجب أن تهبط إلى ملعبي لترتفع بي . هكذا يفعل الرسل والأنبياء دائماً . يهبطون إلى الناس ، حتى يستطيعوا بعد ذلك أن يصعدوا بهم إلى السماء . ولم يحدث قط غير ذلك . ولا تنتظر أن أصعد أنا إليك توا بغير أن تهبط أنت إلي ، وأن تأخذ بيدي

سمعت منها هذا الكلام وأنا لا أكاد أصدق أذني .. ولقد اشتبه علي الأمر ، وخيل إلي أنها سرقت الذي تدوي به هذا الكلام ونفثته في أذني ... ولكن فم الفتاة يتحرك وصوتها يتعالى حلواً صافياً كأنه يتدفق من ينبوع ...

توفيق الحكيم

الحسن الصباح

فيلسوف ومتآمر

وزعيم ديني وسياسي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

في أواخر القرن الخامس الهجري، بينما كانت الدولة الفاطمية بمصر ترفع لواء الشيعة الديني والسياسي، كانت الدعوة الشيعية في فارس والعراق، تتمخض عن فرقة أخرى تنتمي كالخلافة الفاطمية إلى الإمامة الإسماعيلية، وتشق طريقها إلى السلطان والملك بأساليب محنة لم تعرفها من قبل أية فرقة إسلامية أخرى. وكان سلطان الشيعة السياسي الذي حققه الفاطميون في مصر [illegible] دولتهم الفادحة، قد أخذ في الضعف [illegible] الدعوة الشيعية تبث مع ذلك قوية تضطرم في الخفاء؛ وكانت تتجه دائماً إلى الخلافة الفاطمية تستمد منها الإلهام والعطف الروحي، ولكنها كانت تتخذ مع ذلك صبغة محلية تكيفها الحوادث والظروف.

وكانت هذه الفرقة الشيعية الجديدة تنطوي منذ البداية تحت علم الإمامة الإسماعيلية، بيد أنها عرفت فيما بعد في مختلف الأقطار بأسماء مختلفة مثل الملاحدة والمزدكية والتعليمية والباطنية. وعرفت في الشام أيام الصليبيين بالحشيشية. والباطنية أشهر ألقابهم وأصحها، أطلق عليهم لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تأويل تنزيلاً [1]. ولأنهم من جهة أخرى كانوا يحرصون على كتمان دعوتهم وتعاليمهم [2] يبثونها في الخفاء، ولا يبوحون بها إلا لخاصة الصحب والتلاميذ.

ومؤسس هذه الدعوة الإسماعيلية الباطنية وواضع أسسها ومنظم دعايتها رجل تقدم لنا سيرته العجيبة صفحة من أغرب صحف الدعوات السرية، هو الحسن بن علي الصباح الحميري، وهو شخصية تذكر أخطارها وقوة خلالها بأعظم زعماء الحركات السرية والإرهابية الحديثة، بل سنرى فيما بعد أن الحركات الثورية والإرهابية الحديثة التي هزت أركان العروش والدول، قد تقتبس كثيراً من نظمها وتعاليمها السرية من نظم الحسن وتعاليمه، وأن الحسن كان إمام هذا الفن وأستاذه الذي لا يجارى.

كان الحسن الصباح إماماً من أئمة الدعوة السرية في عصر كانت الدعوة فيه أنفذ سلاح لغزو الخصومات والجماهير. وكان فوق ذلك من أقطاب الخفاء يحيطه الخفاء بسياج من القوة والروع، وكانت فلسفته أعظم عناصر قوته، ذلك لأن الحسن لم يكن متآمراً بوليسياً فقط، بل كان أيضاً [illegible] فلسفته كثير من الذكاء والطرافة؛ وكان ينظر [illegible] فلسفته إلى العالم والمجتمع بمنظار خاص، ويتخذ منه ناموساً خاصاً للحكم على الأشخاص والأشياء والحوادث.

* * *

ظهر الحسن في عصر كان الإسلام يستقبل فيه مرحلة من أدق المراحل وأخطرها، ويستجمع قواه ليخوض مع النصرانية في ميدان الحروب الصليبية معركة جديدة، من معارك الحياة والموت. وكان مولده في طوس من أعمال خراسان في حدود الثلاثين بعد المائة الرابعة. وكان والده الصباح فقيهاً متواضعاً يعتنق مذهب الشيعة الرافضة في الخفاء، ويستتر بثوب من التقشف والورع. وكان ينتحل لنفسه نسبة عربية ويزعم أنه سليل الصباح الحميري. وقضى الحسن صباه في طوس، ودرس الفقه والحديث على المحدث الشهير موفق الدين النيسابوري، وكان من زملائه

(١) الشهرستاني: الملل والنحل ج ٢ ص ٢٩ (هامش الفصل)
(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ٦٤.

في المدرسة الثانية تألق نجمهما فيما بعد وأصبحا من أعلام العصر، وهما الشاعر الأشهر عمر الخيام والوزير الكبير نظام الملك. وكانت طوس يومئذ مركزاً للدراسات الدينية الخطيرة، وفيها ولد وظهر في نفس العصر أعظم فلاسفة الإسلام الروحيين وهو حجة الإسلام الغزالي، وكانت أيضاً مركزاً للدعوات الدينية السرية، ومهبطاً لأقطاب الدعاة، وفيها تلقى الحسن الدعوة الإسماعيلية منذ حداثته. ويحدثنا الحسن عما خالجه يومئذ من تردد في قبولها، وما كان يعتقده من أن مذهب الإسماعيلية إنما هو مذهب الفلاسفة، وأن إمامهم خليفة مصر الفاطمي إنما هو مفكر من المفكرين الفلاسفة، وكيف انتهى أخيراً إلى اعتناق المذهب، وغدا من تلاميذ عبد الملك بن عطاش أحد أقطاب دعوتهم، ثم صحبه إلى الري شاباً يضطرم إخلاصاً للدعوة وحماسة في بثها(1).

ودرس الحسن الكيمياء والفلك [illegible] والعلوم التي كانت في عصره، ظهوراً [illegible] بشهوة الأذكياء والأدعياء من الحيلة والشعوذة. وكان صديقه ورفيق صباه نظام الملك قد شق طريقه إلى السلطان والمجد، فاتصل به الحسن ورجاه، فألحقه بخدمة السلطان. وقربه السلطان وحظي لديه بما أبدى من فطنة وبراعة. ولكنه لم يلبث أن انقلب على صديقه والمحسن إليه يحاول الإيقاع به. وأوجس نظام الملك خشية من دسه وعزمه، فعمل على إقصائه، واتهمه بالإلحاد وبث الدعوة الإسماعيلية، فأقصاه السلطان وغادر البلاط ساخطاً يلتمس النشاط آفاقاً أخرى.

وكانت هذه مرحلة التكوين والاستعداد في حياة الحسن. وكان هذا الرهط المستتر من الدعاة يتجه دائماً إلى مصر وإمامها الفاطمي قطب الدعوة وملاذها، ورمز سلطانها وسيادتها، وإلى مصر اتجهت أنظار الحسن، وشجعه شيخه عبد الملك لما آنس فيه من مقدرة وإخلاص، على السفر إليها ليحظى برؤية إمامها المستنصر بالله الخليفة الفاطمي، وليستمد منه التأييد والعون. فسار الحسن إلى مصر ووصلها في صدر الثمانين (نحو سنة ٤٨٠ هـ)(1). وفي رواية أخرى أن الحسن سار إلى مصر فراراً من نقمة حاكم الري إذ اتهمه ببث الدعوة الإلحادية والتستر على نفر من دعاة المصريين(2). ولما وصل إلى مصر لقي منتهى الحفاوة، واستقبله داعي الدعاة الشريف طاهر القزويني وغيره من الشيوخ الأكابر عند الحضور. ورحب به الخليفة المستنصر بالله وأكرم وفادته، وأفرد لإقامته منزلاً خاصاً، وأمره بدعاء الناس إلى إمامته. ولبث الحسن بمصر [illegible] فيها تأييد الخليفة ورعايته وثقته، [illegible] على أساتذة دار الحكمة المصرية، على الرغم من تناقص نفوذها القديم، أعظم مركز علمي لتلقين الدعوات السرية. بيد أنه لم يستطع أن يحرز من النفوذ ما كان يطمح إليه. ذلك أن الخليفة الفاطمي لم يكن يومئذ أكثر من زعيم روحي، وكانت مصاير الحكم والسلطان قد انتهت يومئذ مقاليدها إلى أمير الجيوش بدر الجمالي المتغلب على الدولة والمستأثر بشئونها. ولم يوفق الحسن إلى الحظوة لدى أمير الجيوش، إذ كان يوجس خيفة من نياته ومشاريعه. واستحكم الجفاء بين الرجلين. ولما أثيرت مسألة ولاية العهد واختار المستنصر ولده نزاراً لولاية عهده، أيده الحسن في اختياره بحماسة. ولكن خالفه أمير الجيوش وحزبه، واختار ولد الخليفة المستعلي

(1) يرجع في ذلك إلى ما أورده مسيو Jourdain المستشرق الفرنسي في مذكرة استقاها من مخطوطات إسماعيلية محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس ونشرها ميشو Michaud صاحب تاريخ الحروب الصليبية. انظر Michaud : T. I. P. 474 et suiv.

(1) مذكرة مسيو جوردان السالف ذكرها.

(2) ابن خلدون ج ٤ ص ٩٤.

لولاية العهد ، وكان هذا الخلاف منشأ فرقة إسماعيلية تعرف «بالنزارية» نسبة لنزار ولد المستنصر . وسخط أمير الجيوش على الحسن لدعوته ، وانتهز هذه الفرصة لحمل الخليفة على إقصائه ، وأمر به فاعتقل في بعض قلاع دمياط ، بيد أنه استطاع غير بعيد أن يفر من معتقله ، وأن يجوز في بعض السفن إلى ساحل الشام .

ونزل الحسن في حلب وأقام بها حيناً ، ثم رحل إلى بغداد فخوزستان وأصفهان ويزد وكرمان ، وهو يبث دعوته أينما حل . وكان يبثها في الواقع في ميدان صالح تخاصمها الدعوات السرية منذ بعيد . بيد أن الحسن لم يكن رجلا نظريا يقف عند الدعوة والمثل النظرية ، وإنما كان رجل عمل يرى في الدعوة مرحلة تمهيدية ويتطلع إلى اتخاذ الوسائل العملية . وكانت فارس تقدم بطبيعة مناطقها الإقليمية وأحوالها السياسية والاجتماعية المضطربة للداعية أنسب الفرص . وكانت المنطقة الشرقية المرتفعة بين الديلم والعراق تتخللها عدة قلاع منيعة شاهقة تقع في مناطق وعرة ، ويستطيع المسيطر عليها أن يبسط سيادته على تلك المنطقة كلها . وإلى هذه المنطقة اتجهت أنظار الحسن . وكان الإسماعيلية قد بدأوا بالفعل حركتهم المثيرة ورفعوا لواء الثورة في أنحاء همذان ، وحاربوا جند السلطان ، واستطاع أحد زعمائهم أحمد بن عطاش ولد الشيخ عبد الملك أن يستولي على قلعة شاه دز بالقرب من أصفهان ، وأن يتخذها قاعدة للهجوم والدفاع . أما الحسن فوجه اهتمامه إلى ولاية رودبار الواقعة في شمالي قزوين وإلى قلعتها المنيعة ألموت . وكان قد بث دعاته إلى هاتيك القلاع والحصون يبثون الدعوة بين الجند ويستميلون ولاءهم وعقائدهم . وكان حاكم القلعة من قبل ملكشاه علويا يدعى أبا مسلم وهو صهر لنظام الملك ، فاتصل به الحسن وتوثقت بينهما أواصر الصداقة . ولبث الحسن يتحين الفرص ، وفي ذات مساء وثب بحاكم القلعة في جمع من أنصاره فأخرجه منها واستولى عليها . وكان ذلك في السادس من رجب سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) .

وبادر السلطان بإرسال الجند إلى ألموت لاسترجاعها ، فضيقوا الحصار عليها وجهد الحسن وأنصاره داخلها ، فعندئذ فكر في اغتيال نظام الملك خصيمه ومطارده الحقيقي ، فدس عليه فتى من دعاته ، فاغتاله ذات مساء من شهر رمضان (سنة ٤٨٥) وقتل القاتل لوقته (١) . ووقع الاضطراب في البلاط واستدعى السلطان جنده فرحلوا عن ألموت وتنفس الحسن الصعداء . ثم بادر إلى تحصين القلعة وملأها بالرجال والذخائر والأقوات ، وغرس حولها الأشجار اليانعة ، وغدت ألموت — ومعناها «عش العقاب» — تسيطر بنفوذها ومنعتها على ولاية رودبار كلها .

ولم يمض سوى قليل حتى توفي السلطان ملكشاه ، فوقع الخلاف بين ولديه محمود وبركيارق ، وانتهز الإسماعيلية فرصة الحرب الأهلية بين الأخوين ، فاستولوا على عدد كبير من القلاع والحصون في قوهستان وأصفهان وهمذان وغيرها ، واستفحل أمر ابن عطاش صاحب قلعة شاه دز وبسط سلطانه على كثير من أنحاء أصفهان . وازداد الإسماعيلية قوة حتى حالفهم السلطان بركيارق على أخيه ، ونشطوا إلى مطاردة الأمراء السلجوقية حلفاء السلطان محمود واغتالوا عدة منهم ، وبثوا الرعب والروع في أنحاء فارس وفشت دعوتهم بين الجند والعامة وغدوا قوة يخشى بأسها . وكان بركيارق نفسه أول من خشي بطشهم فانقلب إلى قتالهم ، وفتك بجموعهم في أنحاء مملكته . ولما انتهت الحرب الأهلية بين أبناء ملكشاه وعقد الصلح بينهم جد

(١) الروضتين في تاريخ الدولتين ج ١ ص ٢٠ ؛ وابن خلدون ج ٤ ص ٩٦ . وكلاهما يمضي في رواية أن نظام الملك وقع ضحية الباطنية . وابن خلدون صريح في أن القتل تم بتحريض الحسن . ولكن ابن الأثير يقدم لنا في ذلك رواية أخرى (ج ١٠ ص ٧٠ و ٧٢) .

الأمراء السلاجقة في محاربة الإسماعيلية ، وأثخن فيهم السلطان محمد بن ملكشاه وأفنى جموعهم في أنحاء أصفهان ، وحصر ابن عطاش في شاهدز ، واستبسل الإسماعيلية في الدفاع عنها ، ولم يغن ذلك شيئاً ، ووقعت القلعة أخيراً في قبضة السلطان وأسر ابن عطاش وآله وقتلوا أروع موت .

وليس من موضوعنا أن نتتبع أدوار هذه الحركة التي اضطرمت في فارس بين الإسماعيلية والأمراء السلاجقة وخلفائهم التتار . ويكفي أن نقول إنها استطالت زهاء قرن ونصف قرن بسط الإسماعيلية خلالها حكم إرهاب مطبق على الأنحاء الشرقية ، ولم يظفر السلاطين بالقضاء على دولتهم المروعة إلا بعد جهود جبارة متوالية .

* * *

في ذلك الحين كان الحسن الصباح مستقراً في ألموت معقله ومركز سلطانه ؛ وكان [illegible] مرحلة جديدة في حياته وحياة طائفته [illegible] تنظيم الإسماعيلية إلى دولة حقيقية ، ويبدو الحسن الصباح زعيماً لدولة دينية سياسية ، دولة من نوع خاص يتمتع زعيمها قبل كل شيء بصفة الإمامة الروحية ، ويستند إلى قوة خفية غير ظاهرة ، قوامها جيش من الدعاة والفدائيين المتعصبين ، يتشحون بأثواب من الزهد والورع ويعتمدون على غزو الأذهان والعقول ، وعلى سلاح المؤامرة والغيلة ، ويؤيدون تعاليمهم الخفية بالخناجر المسمومة ، ومثلهم الفلسفية والروحية بأعمال عنف مروعة . والواقع أن دولة الإسماعيلية الباطنية لم تكن سوى جمعية سرية هائلة ، وضع الحسن أسسها ومبادئها الفلسفية ، وبث أعوانها خفية ووضعها في عزلة ، حتى غدت قوة عظيمة تحدث آثارها المريعة في حوادث العصر وتطوراته .

(للبحث بقية) محمد عبد الله عنان

الثقافة والنظر الأخلاقي

(بقية المنشور في صفحة ١٠)

إليها البحث ، نسوقها في شكل فروض علمية ، يعرض بعد في محك النقد والتجربة :

(١) تتفق الجماعات المتماثلة ثقافياً في وحدة قبولها من المقاييس الأخلاقية

(٢) المستوى الثقافي لجماعة ما عامل أساسي في تقرير أهمية كل من المقاييس الأخلاقية الموجودة فيها

(٣) تغير البيئة الثقافية ينتج تغيراً في وجهة النظر الأخلاقي

(٤) الشعوب الراقية في مدنيتها تؤثر في الأفراد الأجانب الوافدين عليها والذين يعيشون بين ظهرانيها ولو [illegible] في ثقافتهم ، وعلى الأخص في تفكيرهم الأخلاقي والأخلاق

محمد خلف الله

التحليل النفسي

منقولة بتصرف من الإنجليزية

يرى الناس عادة أن الطفل مخلوق طاهر النفس ، نقي العقل ، وأن نيته إزاء الغير بريئة لا غبار عليها ، وأن خلقه يخلو من كل نقد أو تأنيب . على أن سلوك الأطفال في سني حياتهم الأولى ليس خلوا من الإدراك والفهم والتفكير ، وإن كان تفكيرهم هذا ليس كله مبنياً على المنطق ، وإنما يستند على الخيال إلى حد بعيد .

وللطفل فيما يتعلق بالحسن أو القبح ، والخير أو الشر ، أفكار راسخة يتمسك بها تمسكا عجيبا ، وتؤثر هذه الأفكار في سلوكه وموقفه إزاء والديه تأثيرا بعيدا !

ومن خصائص عقل الطفل أن [illegible] الذي يحيط به [illegible] بالروح والحياة ، فلا [illegible] في بيئته [illegible] فهذا يطعم دميته ويضربها ويحنو عليها [illegible] الباب على أنامله فآلمه ، فإنه يركله ويلعنه [illegible] وهكذا . فهو يعامل الجمادات المحيطة به كما يعامل غيرها من الكائنات الحية . وهذه الكائنات الحية وغير الحية ، المتحركة والساكنة ، لها أثرها الكبير في نفسيته .

وعقل الطفل في هذا ، وفي كثير من الوجوه ، أشبه بعقل الإنسان البدائي الذي يعتقد أن الحياة تدب في كل شيء ، أو أن قوة سحرية مبهمة تتحكم في سلوك الإنسان والحيوان ، وفي قوى الطبيعة المختلفة .

ولكن كيف توصلنا إلى كل هذه المعلومات ؟

توصلنا إليها من الملاحظات المتعددة التي عملت على الأطفال في مدارس الحضانة ، وكذلك من التحليل النفسي . فقد وجه علم النفس الحديث عنايته بالطفل ، فكشف لنا عن كثير من الغرائب ، واستطاع بالتحليل النفسي إزاحة الستار عن كثير من الأسرار التي غمرت سلوك الأطفال وأوضحه .

ولأجل أن تنكشف لنا الطبيعة البشرية بأجلى معالمها ، لا يجوز أن نكتفي بملاحظة السلوك الظاهري العادي المهذب الذي يقره الناس ويوافقون عليه ، بل يجب أن نضيف إلى هذا نتيجة فحصنا للسلوك الشاذ ، لنكشف عن النواحي الخفية غير المعقولة من طبيعة الإنسان . وقد نجح التحليل النفسي نجاحا كبيرا في كشف ما وراء السلوك الشاذ ، بعد ما وجه عنايته إلى علاج الأمراض النفسية والعقلية المختلفة ، ومنها الهستريا ، وجنون الشك ، وجنون القلق ، والانقباض الشديد المزمن ، والهبوط العقلي ، وغير ذلك .

وقد كشف لنا علماء النفس — قبيل ظهور الدكتور فرويد Freud صاحب طريقة التحليل النفسي ونظرياته — [illegible] المرض العقلي ، والسبب الذي سبب [illegible] كفقد الذاكرة ، أو الصرع ، أو الإغماء ، أو غير ذلك — لا بد لنا من فحص ذاكرة المريض ، والكشف عما تحتويه من خبرات الماضي وحوادثه .

ولكن تبين أن هذا من الصعوبة بمكان ، لأن المريض لم يتمكن من إدراك علاقة واضحة بين ما اعتقده من أعراض وما في عقله الباطن من آثار . أما المناقشة المنطقية المعقولة فإنها لم تجد فتيلا في إيضاح هذه العلاقة ، وظهر كأن هناك مقاومة من جانب المريض ضد محدثه ومعالجه . ولكن تمكن المعالج تحت تأثير التنويم المغناطيسي من جعل المريض يستعيد من حوادث الماضي ما ثبت أن له علاقة مباشرة وأثرا فعالا في ظهور أعراض المرض . ولما وضع المريض هذه الذكريات في صيغة انفعالية شديدة انقشعت في الحال أعراض المرض .

كشف فرويد بعد ذلك بقليل، أننا إذا تركنا من جعل المريض يفكر بحرية وطلاقة واسترسال في الخواطر التي تقع له في أحلامه، فإن تسلسل الأفكار إلى الشعور يعمل على كشف الرابطة مباشرة بأعراض مرضه، والنسبة لظهورها. وكشف لنا أيضاً أن استرجاع هذه الذكريات المنسية من اللاشعور إلى الشعور كاف لاختفاء أعراض المرض.

وقد تغيرت نظرة علماء النفس إلى العقل تغيراً كبيراً منذ ظهور التحليل النفسي. فبعد أن كان العقل في نظر العلماء (إلى خمسين سنة مضت) أمراً بسيطاً نصل إلى معرفته بفحص الشعور[1]، أصبح الآن أمراً مركباً، ولا بد لمعرفته من الغوص فيما يسمى باللاشعور[2]. ولعل أهم ما كشفه فرويد هو نشاط ذلك العقل اللاشعوري.

ويمكننا أن نلخص نظرية فرويد في أن الإنسان يولد وعنده مجموعة من الغرائز التي تندفع لا[illegible] لاشباع هذه الغرائز من حدوث التصادم بين الطفل أو بين [illegible] غرائزه، وبين ما يحيط به، أو بين العالم الداخلي للطفل والعالم الخارجي[3]، ونتيجة هذه التفاعلات تكون ما يسمى بالذات أو النفس أو العقل الشعوري أو الشخصية الظاهرة.

والمسألة لا تنتهي عند هذا، فالنفس تنمو باصطباغها بصفات الأشخاص الذين يؤثرون في حياة الطفل في أيامه الأولى، ويبقى الطفل في هذه الأيام الأولى معتمداً على أبويه في سلامة حياته وتغذيته، ويستمد كثيراً من الصفات الخلقية.

وفوق هذا، فإن نتيجة معاملة الأبوين للطفل من حنو أو قسوة أو محبة، أو تذبذب بين القسوة والعطف، وما يشعر به الطفل نحوهما من محبة أو كراهية أو عدم اطمئنان أو غير ذلك، كل هذا يتغلغل في نفس الطفل تغلغلاً عميقاً. ومهما جد في حياته بعد خروجه من دور الطفولة من العوامل، فإنه يظل يتأثر حتى بعد تمام نموه بتلك الآثار العقلية اللاشعورية، التي تكونت في نفسه أيام الطفولة.

فكأن التحليل النفسي يعتمد اعتماداً كبيراً على فهم عقل الطفل، والوقوف على طريقة إدراكه لما حوله من كائنات، ومعرفة اتجاهات ميله وإدراكه، وكشف [illegible] الغريزية وميوله الانفعالية. وقد ثبت أن قليلاً جداً [illegible] أن يتخلصوا من اتجاهات الآراء [illegible] زرعها في عهد طفولتهم. فكأن [illegible] هو النفس المحلل يجد أن الناس كلهم تقريباً ما زالوا في صميمهم أطفالاً.

وعند إجراء التحليل النفسي لشخص ما، فإنه سرعان ما يدرك أن ما لديه من اضطرابات نفسية، وأن اتجاهات ميوله ونفوره وخوفه وكراهيته ومحبته وتحمسه، وحتى خلقه، كلها ترجع في أصلها إلى خبرات الطفولة وحوادثها.

وليس هناك من ينكر — حتى علماء التحليل النفسي مع ما يشعرون من الأهمية لأثر الطفولة في سلوك الكبار — أن ما نصفه نحن الناضجين يحدث بعض الصلة إلى المشاكل التي تقابلنا في كل يوم، والتي نتغلبها حتى نتغلب عليها أو نفر منها مجبرين فراراً هنا، ومعتقدين بنجاحنا مهما كنا في ذلك خادعين لأنفسنا. ومع الاعتراف بهذه الصلة، فإننا نجد خصائص العوامل النفسية الأصلية، التي تؤثر في الشخصية، تجد الطفولة هي الباقية الراسخة، وكل ما يحدث

(1) وهو ما نشعر به أو ما يمكن بسهولة أن نشعر به من حالات السرور والألم والحب والكراهية والتفكير والفهم والتذكر والتصور والرغبة والتردد والتصميم ... إلى غير ذلك.

(2) وهو ما لا نشعر به وما لا يمكن أن نشعر به إلا بطرق خاصة، وهي طرق التحليل النفسي.

(3) كالتشبع بينه تحت من الطعام حدوث تقابل بينه وبين أمه، أو بينه وبين رضيعه، أو بينه وبين أسنانه في سلالة من الأصابع، ويشتمع ببينه الاستطلاع حدوث تقابل بينه وبين الصندوق الذي يأخذه أمه منه أو بينه وبين الصندوق المقفل الذي يشغل به أمه إلى ... إلى غير ذلك.

من عوامل الأطفال ومشاعرهم هو تحوله في شكله الظاهري إلى طرق التعبير والكلام التي نستعملها في الكبار. وأما ما وراء ذلك من طفولة فإنه باق ثابت، وسواء استسغنا هذا الرأي أو انتقدناه، فالواقع أن ميولنا وآمالنا، واتجاهاتنا في المحبة والكراهية والخوف وغير ذلك، يحددها ما كسبناه منها في طفولتنا نتيجة لمعاملاتنا مع آبائنا وأهلنا. ومن أمثلة ذلك أن كراهية شخص للمحسوبية للأهل والأقارب، والإسراف في عدم مد يد المساعدة لهم، قد لا ترجع إلى التفاني في إقامة العدل، وإنما قد تكون مسببة من غيرته أيام طفولته من شقيق له كان مقرباً أكثر منه إلى والديه. وما نسمعه عن كراهية رجل للنساء قد يرجع إلى عدم ثقة لم [illegible] أيام طفولته بأمه، التي كانت تهمل شئونه ومطالبه ولا تعطف على حاجاته. وكذلك الحرص على المرأة، والسعي إلى مغازلتها، والتحبب إليها، قد يكون من تعطش إلى [illegible] الأم تحنو عليه، وبين أن [illegible] عليه ربما كانتا أيام الطفولة. وبحث [illegible] عن سيدة تحبه وتحنو عليه وتقضي له كل مصالحه، وبعبارة أخرى تحل نفسها في حياته محل الأم الشفيقة الحنون، المهتمة بمصالحه، والقلقة على أحواله وأموره، قد يرجع إلى أن فطامه أيام طفولته لم يصادف في نفسه قبولاً، وإنما صادف ألماً لأنه كان مدللاً ولأن أمه شغلت عنه بطفل آخر أو بأمر آخر. وهكذا، يمكننا أن نأتي بآلاف الأمثلة، ونحللها بنفس الطريقة على ضوء نتائج التحليل النفسي.

والواقع أن النتائج التي وصل إليها علم النفس، بالتدرج من الحياة العقلية للكبار إلى حياتهم العقلية في طفولتهم، قد أدهشت الناس إلى حد كبير. ولكن الذي أدهشهم أكثر من ذلك هو نتائج فحصهم وتحليلهم لعقول الأطفال أنفسهم. وتختلف طريقة تحليل الكبار عن طريقة تحليل الأطفال. فللكبار لغة واضحة، يستخدمونها عندما يسترسلون في أفكارهم وعندما يقصون أحلامهم، وأما الأطفال فلهم طرق خاصة للتعبير عن حياتهم العقلية، وأوضح هذه الطرق وأجلاها بياناً هي طريقة اللعب. ولهذا يعتمد علم النفس الحديث على طريقة خاصة لتحليل لعب الأطفال. ونلاحظ أن الأطفال لا يلعبون عبثاً ولهواً ولمجرد قتل الوقت، وإنما هم يلعبون ليحيوا أحداثاً معينة. ويقومون في ذلك بأدوار تمثيلية يعبرون فيها عن رغباتهم ومخاوفهم. والذين يدركون هذه اللغة الخيالية للطفل، يكشفون عن الأشخاص والحوادث التي تمثل في هذه الأدوار. مثال ذلك الطفل الذي يمثل وضع القطرة في عين دميته، إنما ينفس عن رغبة كامنة في نفسه، لأن أمه أمسكته وضغطت عليه ووضعت القطرة في عينيه. وهذا في نظره عملية غير سارة لا يرضاها، وإنما يقبل الإذعان [illegible] الضغط، فهو يود لو ينتقم ممن حوله، ولكن أنى له هؤلاء، من ينتقم منهم! فيقوم بتمثيل هذا [illegible] الكافية عن نفسه، والإشباع لرغبته [illegible] الطفل التي تجلس دميته أمامه وتطلب منها أن تسمع الكلام، وألا تتحرك، وأن تجلس هادئة: إنما تعبر بصورة غريبة تورية على مثل هذه الأوامر التي تلقى عليها من وقت لآخر، وتريد أن تشعر بالسرور والنشوة اللذين يشعر بهما الكبار عند إخضاعها لأوامرهم. والطفل الذي يجمع لعبه ويسمي كل واحدة منها ويلاعبها جميعاً ألعاباً مختلفة هو في الغالب طفل وحيد تتوق نفسه إلى الأصدقاء من سنه ليؤنس وحشته بهم.

والطفل الذي يلعب بمفرده يستغرق ويسترسل في حديث طويل، يبدو لنا كأنما هو حديث فردي يقوم به وحده. وإذا تأملناه نجد أنه حديث اجتماعي يجري بين نفسه من ناحية وبين لعبه من ناحية أخرى. ونلاحظ في هذه الرواية أن اللعبة الواحدة تمثل في الأوقات المختلفة أدواراً مختلفة، وأن الطفل يتحدث عن مخاوفه ورغباته، وأن هذه المخاوف والرغبات غير الشعورية ترتبط مباشرة

بمواعي المحبة والكراهية الناشئة من علاقته ومعاملاته مع والديه وإخوته وأخواته .

وإذا كان من يقوم بملاحظة الطفل فى لعبه ، متفقا لفنه ، فإن موقفه من الطفل لا يظل موقف متفرج مدة طويلة ، وإنما سرعان ما يشترك مع الطفل فى لعبه ، ويصبح زميلا له فى ذلك . وأما محافظة الشخص على موقف الملاحظ المتفرج فإنه يجعل الطفل حذراً حريصاً يخشى إلا مع لعب طلاقة وحرية أن تنكشف أسراره لهذا المتفرج . ولكن كياسة الشخص بالتحليل هى التى تجعل الطفل ينطلق فى لعبه ، وبذلك يصل الطفل إلى قرارة نفسه . وكل من الانطلاق فى اللعب والتفاهم التام بين المحلل والطفل يكفل للطفل التخلص مما فى نفسه من كوابس ، ويتحرر من الكثير من مخاوفه وأسباب قلقه ، ويبدأ دوافع الكراهية ودوافع العنف بعد انطلاقها فى الأخذ فى الانصلاح من صورا إيجابية بدلا من الصور الهدمية .

معنى هذا أن التحليل باللعب الطفل تحليلا نفسياً يعمل على إزالة أسباب الخوف والقلق ، ونزع أسباب الكراهية والعنف ، وعوامل الشذوذ فى الخلق ، وبهذا يدخل الحياة حراً طليقاً خفيف الحمل ، قادراً على الاستقلال فى تفكيره وفى عمله .

فياحبذا لو تمكنا من معالجة جميع الأطفال عن طريق اللعب ، وبذلك يصبح غالبية الكبار من الأشخاص معتدلى الخلق ، واضحى البصيرة ، بدلا من أن يكون عالم الأطفال كبار متقلبون ويتخبطون بين الأذرع القوية لأكبر الطفولة الطافية .

عبد العزيز القوصى

الأستاذ المساعد لعلم النفس بمعهد التربية

مونا ليزا دل جيوكوندا

Mona Lisa del Gioconda

للمصور ليوناردو دا فنشي

بقلم الدكتور زكي محمد حسن

كان ليوناردو دا فنشي Leonardo da Vinci أحد الأعلام الثلاثة ، الذين ازدهر بهم الفن الإيطالي في عصر النهضة ، وهم : ليوناردو ورفائيل وميشيل أنجلو .

وقد ولد الأول في فنشي من أعمال فلورنسة سنة ١٤٥٢ ، وظهرت ميوله للفنون الجميلة منذ طفولته ، وسرعان ما حاز قصب السبق في التصوير والنحت والعمارة والشعر والموسيقى ، والطبيعة والفلسفة ، ولكن مواهبه في الرسم والتصوير هي التي رفعت [illegible] خلدت ذكره بعد وفاته سنة ١٥١٩ [illegible] دقة رسومه ، وتوفيقه في اختيار ألوانه ومزجها ، وبراعته في توزيع الضوء ، وعنايته بكل جزء من أجزاء الجسم الإنساني ، كل ذلك جعل آثاره الفنية تفيض بالحياة وقوة التعبير . ولكن أكثرها لم يصل إلينا . ومن المعروف منها صور دينية مسيحية . على أن ليوناردو رسم في فلورنسة ، بعد أن جاوز الأربعين ، بعض صور إنسانية حازت إعجاباً لا حد له .

ومهما يكن من شيء ، فإن أشهر منتجات ليوناردو وأحبها إلى الهواة ، صورة السيدة مونا ليزا جيرارديني ، زوج « فرانسسكو دل جيوكوندو » من كبار التجار بفلورنسة في بداية القرن السادس عشر . وهذه اللوحة الفنية مصورة على خشب ، ويبلغ ارتفاعها ٧٧ سنتمتراً وعرضها ٥٣ سنتمتراً . (انظر الصورة في الصفحة المواجهة) . وقد اشتراها الملك فرانسوا الأول بما يقرب من أربع جنيه وهي تساوي الآن أضعاف هذا المبلغ .

وعلى كل حال فإنها اليوم تحط أنظار الزائرين في متحف اللوفر بباريس ، كما أقبل كبار المصورين على رسم نسخ منها لعرضها في المتاحف والمجموعات الفنية الخاصة .

وترى مونا ليزا في هذه اللوحة جالسة على مقعد مسندة عليه ذراعها اليسرى ، وفي شفتيها الجذابتين شبه ابتسامة عجيبة ، ورداؤها الأخضر له كمان من نسيج أصفر ، وفي أرض اللوحة مناظر تلال ومجار مائية ، وإلى اليمين رسم قنطرة .

ويقال إن ليوناردو قضى في تصوير هذه اللوحة أربعة أعوام ، ويفهم من ذلك أنه لم يكن يعمل فيها إلا في فترات متباعدة .

ومهما يكن من شيء فقد أعجب القوم بهذه الصورة منذ عصر ليوناردو ، حتى إن جيورجيو فساري Georgio Vasari المصور الإيطالي الذي صنف تراجم [illegible] الفنانين ، وعاش بين عامي ١٥١١ و ١٥٧٤ كتب عنها : « إن الذي يريد أن يرى إلى أي حد يستطيع الفن أن يصور الطبيعة تصويراً صادقاً ، عليه أن يتأمل في صورة مونا ليزا ، فهي عمل إلهي لا يكاد يكون في طاقة البشر ، وهي شيء عجيب ، وحية كالطبيعة نفسها » .

وتناقل الناس الإعجاب بهذه الصورة جيلاً بعد جيل ، وكتب مئات الشعراء والكتاب عن هذه المرأة ذات الابتسامة الشيطانية الساحرة ، والوجه الذي يشع منه الرقة والإباقة ، والتواضع والهدوء ، مع اليقظة النفس والشعور بالانتصار ، والجسم الكامل الذي لا عيب فيه .

وقال بعضهم : إنها صورة المرأة الوحيدة التي أحبها ليوناردو ، وذهب آخرون إلى أنها تمثال الحسن اللطيف الساحر الكامل ، الذي كان يحلم به ليوناردو ، ويخشى بأسه ويعتقد أنه أصل كل بلاء !

(البقية على صفحة ٣٠)

العلاقة بين الفصحى والعامية

للأستاذ إسحق موسى الحسيني

عُني العلماء منذ زمن طويل بدرس العلاقة بين اللغة العربية الفصحى واللغات العامية، وأعني بالفصحى لغة الكتابة والقراءة والخطابة، واللغات العامية اللهجات العامية التي يتكلم بها العربُ اليوم في مختلف أقطارهم. ولكنهم لم يصلوا إلى رأي فاصل في هذا الموضوع.

وهم في ذلك فريقان:

فريق يزعم أن اللغة الفصحى هي لغة الأدب [illegible] ولغة القراءة والكتابة — مع شيء من [illegible] ولكنها لم تدر في يوم من الأيام على الألسنة [illegible] على ذلك أن القبائل العربية التي ما زالت محافظة على سجيتها في الجزيرة العربية تتكلم بلهجات بعيدة عن الفصحى، وأن الشعوب العربية المنتشرة في أطراف الأرض تتكلم لهجات عامية أيضاً. فأين هي آثار اللغة الفصحى؟

وذهب الفريق الثاني خلاف رأي الفريق الأول، وقرر أن اللغة الفصحى لا بد من أن تكون نشأت نشأة طبيعية كسائر لغات العالم. ولذلك لا مناص من أن نفرض شيوعها على الألسنة في زمن ما، بعيد أو قريب، وفي بقعة ما، اتسعت أو ضاقت. ويستندون في رأيهم هذا إلى ثلاثة أدلة:

الأول: أن اللغة الفصحى — وإن كانت اليوم لغة أدبية — لا بد من أن تكون متطورة عن أصل من أصول الكلام، أو اللهجات التي شهدت في الجزيرة العربية

ويقولون: إن اللغة اللاتينية التي هي اليوم لغة أدبية، ولم لهجات عامية، عرفت فيما بعد بالفرنسية والإيطالية والبرتغالية، كانت لغة الكلام. والآن ليس هناك ما يمنع أن تكون الفصحى كاللاتينية — من هذه الناحية — انتقلت من اللسان إلى الكتاب، وتفرع عنها ما تفرع من لهجات.

والدليل الثاني: أن هناك نصوصاً قديمة وروايات عديدة تثبت أن الفصحى لم تكن لغة الأدب فحسب، بل كانت لغة الكلام عند بعض القبائل العربية. ومن ذلك نص قديم طريف رواه عمارة اليمني في كتابه «تاريخ اليمن» قال:

«[illegible] لا تكاد تعرف في مدينة الزرائب، وأهلها الفرق على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم، لم تتغير لغتهم، بحكم [illegible] من أهل الحاضرة في مناكحهم [illegible] أهل قرار لا يظعنون عنه. وقد [illegible] في سنة ٥٣١ أطلب الفقه دون العشرين. فكان الفقهاء في جميع المدارس يتعجبون من كوني لا ألحن في شيء من الكلام، فأقسم الفقيه نصر الله بن سالم الحضرمي بالله: لقد قرأ هذا الصبي في النحو قراءة كثيرة. فلما عقلت اللدة والخالطة بيني وبينه صرت إليه فقال: مرحباً بمن حنثت في يميني لأجله. ولما زارني والدي وجماعة من أخوالي إلى زبيد أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم، فلا والله ما لحن أحدٌ منهم إلا لحنة واحدة تتقمصها عليه» ... وهذا دليل لا شبهة فيه على أن قبيلة عمارة تكلمت العربية الفصحى.

والدليل الثالث: أن بعض الباحثين في تاريخ القبائل العربية حديثاً جمع بعض القبائل تتكلم الفصحى إلى يومنا هذا. قال الأستاذ فؤاد حمزة في كتابه «قلب الجزيرة العربية» الذي طبع سنة [illegible]:

« وأهل نجد أفصح لغة من أهل الحجاز ، لقرب هؤلاء من الحرمين ، واختلاطهم بالأجانب ، وبعد أولئك عن كل تلك العوامل . ولكن أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى فيما نعتقد ، هي اللهجات اليمانية الواقعة ما بين حدود الحجاز وجبال اليمن . وكثيراً ما سمعنا أهل هذه البلاد ينطقون الكلمات من مخارجها الصحيحة ، ويتكلمون بما هو أقرب إلى الفصيح من سواه . وبعض البداة من أهل هذه المنطقة يُعرِبون جملا ، يظن معها الإنسان أنهم تعودوا في المدارس على إخراجها على ذلك النحو ، بينما أن الحقيقة هي خلاف ذلك ، لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى السجية ، فيجيء كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه . ويستعملون ألفاظاً غدت في الأقطار العربية المتمدنة مهجورة متروكة ، ولكنهم هم يستعملونها على الدوام » .

هذا هو مُجمَل رأي الفريقين المختلفين .

* * *

على أن الناحية التاريخية من هذا الموضوع لا خطر لها ، وإن كانت الأدلة التي يسوقها الفريق الثاني لا تترك مجالا للشك في صحة ما يذهبون إليه .

والأمر الذي يسترعي الانتباه في الأقطار العربية جميعاً هو وجود لغتين مستقلتين في بيئة واحدة . فهنالك لغة فصيحة هي لغة الكتب والقلم ، ولغة عامية دارجة تتكلم بها الجماهير العربية . وهذه اللغة العامية تختلف باختلاف الأقطار العربية ، ففي بعضها طويلة الحركات مع شيء من الإمالة ، كما هي الحال في القطر الشامي ، وفي بعضها قصيرة الحركات مع شيء من الاختزال ، كما هي الحال في القطر المصري ؛ وفي بعضها متوسطة الحركات ، كما هي الحال في بعض أنحاء الجزيرة العربية . وبعض الأقطار ينفرد بمفردات وتراكيب واصطلاحات لا نظير لها في سائر الأقطار . بيد أن جميع اللهجات العامية تشترك بفقدان أكثر الحركات الإعرابية وبعض الأصوات القديمة والضمائر والأدوات .

وليس وجود لغتين ، فصحى وعامية ، بالأمر الغريب في تاريخ الشعوب . فاللهجات العامية شائعة فيما نعرف من بلدان أوربا . فهي موجودة في ألمانيا وإنكلترا وفرنسا . ومما يروى أن الأستاذ المرحوم جبر ضومط قابل أستاذاً أسوجياً وقال له : « سعداً لكم أيها الأوربيون فإن في بلادكم لغة واحدة ، أما نحن ففي بلادنا لغتان متباينتان » . فأجابه الأستاذ الأسوجي : « السعد لكم أنتم معشر العرب ، فإن لغتكم العامية قريبة من الفصحى ، أما نحن فعندنا لهجات تكاد تكون منقطعة الصلة باللغة الأدبية » . بيد أن خطر العامية في تلك البلدان دون خطرها في الأقطار العربية . ذلك لأن نسبة الأمية في أوربا أقل مما هي في البلاد العربية ، ولأن الحركة العلمية والأدبية في أوربا أقوى وأعم مما هي في بلادنا ، ولأن [illegible] تماسكا واتصالا ، سياسيا وثقافيا ، [illegible] من بقية البلاد العربية . فهذه الأسباب تجعل خطر العامية في البلاد الأوربية ضئيلا تافهاً .

أما البلدان العربية فإنها تواجه مشكلة خطيرة حقا ، فإذا سافر عربي من قطر إلى قطر ، شعر أن لغته العامية تحدث له مشاكل مضحكة حيناً ومكدرة حيناً آخر ، وأنه يجد التفاهم عسيراً في كثير من الأحيان . أذكر أن شابا عراقيا ذهب إلى مدرسة فرنسية في القاهرة ، وكان حينما يتحدث إلى الطلاب أو المعلمين المصريين يثير ضحكهم جميعا ، فالتجأ إلى الفرنسية يخاطبهم بها ، كي يتخلص من الاستهزاء .

وإذا أراد عربي أن يخطب في حفل أو أن يتحدث في موضوع بلغة فصيحة ، وجب عليه أن يعنى بأمرين اثنين في وقت واحد ، الفكر الذي هو جوهر الموضوع واللغة الفصيحة الخالية من الأخطاء . وفي ذلك تقييد للمتكلم ، وضيق الفكر .

يضاف إلى ذلك أن معلمي العربية في مختلف الأقطار العربية يجدون أكبر عناء في الوصول إلى غرضهم ذلك لأن اللهجة العامية أشد أثراً في عقول الطلاب من اللغة الفصيحة ، لأن الأولى هي لغة الأم والأب ، ولغة النشأة والبيئة ، والثانية لغة المدرسة ، بل لغة الدرس فحسب . ولا شك في أن لغة البيئة تقهر لغة المدرسة ، وأن الذوق السليم الذي يكتسبه الطالب في المدرسة يضعف إفساد السليقة الطاغية على لغة البيئة . والواقع أن معلم العربية يهدم ويبني في وقت واحد

والملحوظ من جهة أخرى أن ما ينشأ في البيئة من حكم وأمثال وحكايات ونوادر تروى بالعامية . ولو دونت بالفصحى فقدت رونقها . وبذلك تخسر الأمة مصدراً خصباً للأدب الحديث

ولهذه الصعوبات دعا نفر من [illegible] بدلاً من الفصحى . وكُتبت في [illegible] إلى هذا معظمهم وألف فيها كتباً . ومن [illegible] الأب الخوري مارون غصن في بيروت وأصحابه [illegible] في دمشق [illegible] ضمنه حكايات وأغاني وأحاديث عامية

ولكن هذه الدعوة ماتت وهي في المهد ، بل ولدت ميتة ، ولم يقدّر لها الله أن تنجح في قطر من الأقطار مع كثرة ما مُهِّد لها بين الناس . وقد دعا إلى القضاء على هذه الدعوة عدة أسباب :

فمن جهة أخذ الحس بالقومية العربية يقوى وينتشر ، واللغة أبرز مظهر من مظاهر القومية ، بل هي رمز القومية وأوثق رباط بين الناطقين بها . وهي إلى ذلك وسيلة التفاهم الوحيدة بين الأمم العربية في مختلف أقطارها

ومن جهة ثانية قوي الشعور بقيمة التراث العربي في المدارس العالية والجامعات . وما كان لعاقل أن يضحي بتاج حضارة ازدهرت قروناً طويلة ورفعت قومها إلى المرتبة الأولى بين الأمم الناهضة في تكوين العلوم والآداب الإنسانية

ومن جهة ثالثة تقرر في أذهان الناس أن اللغة ليست ألفاظاً مرصوفة ، وإنما هي علوم وآداب وعواطف مصوغة في ألفاظ . فالتخلي عن الفصحى إنما هو رجوع بالفكر العربي إلى حالة السذاجة والجهل التي كانت عليها الأمة في أوائل نشأتها ، وهو دفن لتراث الأمة التليد وقطع لتاريخها المجيد

ومن جهة رابعة أدرك قادة الفكر أن الفصحى ليست لغة مصر فحسب ، وإنما هي لغة دول ذات الأركان

ومن جهة خامسة أخذت نسبة المتعلمين تزداد ازدياداً [illegible] وانه لا يكون بعيداً . والمتعلمون هم قادة الرأي . ومن الطبيعي [illegible] لغة العلم والأدب وأن يكونوا لها ما استطاعوا .

* * *

[illegible] بعد هذا كله نحو إحياء اللهجات [illegible] تتجه نحو تثبيت الفصحى ونشرها ، وليستعملها [illegible] والأدباء والزعماء يلتمسون أفضل الوسائل لتسهيل الفصحى وإذاعتها بين الناس . وهذه هي الحركة التي نشهد آثارها اليوم في الأقطار العربية الناهضة في الجوامع والمعاهد والصحف .

(القدس) أنيس موسى الحسيني

أنا الغريق ...

للدكتور أحمد ضيف
وكيل دار العلوم

— ٣ —

دخلنا مدينة « بوردو » في المساء ، وكان أحد أصدقائي قد أرشدني إلى نزل هناك ، فتوجهت إليه ونزلت به . وفي الصباح خرجت أتجول في الطرق ، فرأيت مرة فرقا بين باريس والمدن الأخرى .

وكنت شاهدت قبل ذلك في [illegible] أنه ليس في فرنسا من المدن ما يشبه باريس [illegible] وخفة روحها ، ومظاهر الحضارة [illegible] كذلك في بلاد الإنجليز ، فإن كل مدينة هناك تكاد تضارع لندن في كل شيء ، مشابهة العاصمة وما فيها من مرافق مختلفة ، ونشاط تجاري وسياسي . وتكاد تجد في بلاد الإنجليز صبغة واحدة في المساكن والنظام « العائلي » والحياة الاجتماعية . أما في فرنسا فإنك تحس الفرق في العادات والأخلاق واللغة ؛ فإن اللهجة الباريسية هي أصح اللهجات ، وأرقها رنينا في الآذان . والمرأة الباريسية غير المرأة الفرنسية في المدن الأخرى ! والذوق الباريسي الفني غير أذواق سكان المدن الأخرى ؛ والتجارة والصناعة ، والجد والهزل في جملته غيره في باريس .

وأول شيء لفت نظري هناك لهجة السكان ، وأذواقهم في أحاديثهم ، وملابسهم التي يحاولون فيها محاكاة عاصمتهم ؛ ولكنهم لا يصلون إلى ذلك .

والمباني هناك قديمة وأكثرها كئيب ، والطرق ضيقة ؛ والمدينة كلها تكاد تكون صورة من عصور مضت ، ولكن الصبغة اللاتينية أظهر ما تكون هناك في خفة الإدراك ، وحضور الذهن ، وعدم المبالاة بتوالي الأيام . فقد كنا هناك لا نكاد نلمح في وجوه الناس أو نفوسهم شيئا من شبح الحرب ، ولا نرى لذلك أثرا سوى بعض الجنود الذين كانوا يقضون إجازاتهم ويفدون من الساحل الغربي للمحيط الأطلنطي آتين بأسلحتهم وعتادهم وخيولهم من أمريكا لمساعدة الحلفاء .

وعندما رجعت إلى النزل بادرني صاحبه وقال لي :

— عليك أن تذهب في الحال يا سيدي إلى مركز الشرطة !!

فقلت :

— سأذهب بعد يوم أو يومين لتسجيل اسمي هناك ؛ [illegible] هنا ، لأني أعلم أن لي حق البقاء [illegible] من الشرطة .

فقال ، وقد هز رأسه استهزاء :

— كان ذلك يا سيدي وقت السلم ، أما الآن فلا بد أن تذهب في الحال ، وإلا قضيت الليلة بلا طعام !

فقلت :

— وكيف ذلك ؟! قال :

— إنه لا يمكنك أن تحصل على كسرة من الخبز ، ولا جرام من السكر إلا بإذن من الشرطة .

فذهبت إلى بيت الشرطة ، فوجدت أمامه سربا من نساء ورجال كأنه عقد منظوم ، رجل وراء امرأة ، وامرأة في ذيل رجل ، وطفل خلف فتاة ، والغني مع الفقير ، والصغير كالكبير ، والسيد كالمسود . هذا يدفع من أمامه ، وهذه ترفع رأسها لتستنشق هواء نقيا .

قالت امرأة لشيخ كان ملتصقا بها :

— سيدتي ، رفقاً بالنساء فإني أكاد أختنق . فأجابت :

— وأنا أيضاً أختنق يا سيدتي !

فقالت غاضبة :

— إذن ... فقال :

— إذن تلطفين كما تقف جميعاً إلى أن يأتي دورك ، أو ترجعين إلى منزلك !

وألح عليها بكلمته ! فالتفتت وراءها وقالت :

— أنت وحش !

ثم حدّق إليها وقال :

— وأنت مجرمة !

فقالت غاضبة :

— وأنت جلف !

فتقدم الشرطي ، وكان واقفاً لحفظ النظام ، وقال :

— سيدتي ! سيدتي ! صه . صه !

فنظرت إلى المتخاصمين عجوز [illegible] الصفوف وقالت :

— أولادنا وأزواجنا تموت في ساحة الحرب ، ويقتل بهم ، وأنتم هنا تشتغلون بالشتم والسب !...

ثم نظرت ورائي فرأيت خلقاً سلسلة من رجال ونساء ، وشعرت بضغط على جسمي من كل جهة ، وكان هذا الشعور يدفعني إلى الاشمئزاز من هذا الموقف ، ومن الجهة الطاهرة والقاهرة ، والخادم والخادمة ، والبائع والبائعة تتموج من كل جهة ! حتى كنت أدرك مكاني وأتقدم راحماً وأنا كنقطة تمر بين قطعتين من حجر محرّكين .

وصارت هذه السلسلة من الناس تتقدم حلقة حلقة ، حتى وجدتني داخل حجرة بها شرطي يوزع صحفاً مقسمة تشبه طوابع البريد في المقدار والشكل ، على كل طابع تاريخ يوم من أيام الشهر ، كتب بجواره « ثلاثة جرام » . فلما تقدمت إلى الشرطي نظر إليّ ، ولم يكن في الناس شاب غيري . فقال :

— أرني أوراقك .

فأخرجت له جواز السفر ، فنظر فيه وتصفحه ، ثم حدق في ثانية وقال :

— أنت أجنبي ! فقلت :

— نعم . قال :

— ولماذا أنت هنا ؟! فقلت :

— سأمكث قليلاً ثم أعود إلى بلدي . قال :

— حسن . وأعطاني الصحيفة . وقال :

— يجب أن تمر هنا كل ثلاثة أيام !

فخرجت ورجعت إلى الفندق .

وكانت تجلس بباب الفندق الذي نزلت به امرأة كهلة ، كلما مررت بها رأيتها منهمكة في تطريز قطعة من نسيج ، [illegible] غطاء لمنضدة ، أو تطرز بها مقعداً من مقاعد [illegible] . وكان يخيل إليّ أنها لا تفكر في شيء إلا في [illegible] نفسها ليكون عملها متقناً ، حتى لقد كانت تنسى عملها الذي ترزق منه ، وهو حراسة الباب ، ومعرفة الداخل والخارج . وكنت أمر بها فتعجبني نظراتها من تحت منظارها الذي كان متدلياً على أرنبة أنفها ، ويوشك أن يسقط من أقل حركة أو تلفت منها . وكنت عندما أمر بالقرب منها أريد أن أنبهها إلى أن إنساناً مر بالباب ، مداعبة لها ، فأضرب الأرض بقدمي ضربة تشبه أن تكون عثرة ، فتلتفت إلى جهة الصوت ، فأشير برأسي إشارة تحية ، فتهز هي رأسها وتقول كأنها ترد على تحيتي :

— سيدي ! وتعود إلى عملها .

وكان يعجبني منها شعرها الأبيض اللامع ، وأدبها الجم في حديثها وسؤالها وجوابها ، مما يدل على سلالة أصلها .

ووقفت مرة أمامها أحاول أن أتحدث معها ، فنظرت إليّ ، وأحسست أني أميل إليها بعض الميل ، فقالت :

— اجلس يا سيدي !

وقفت في وسط الزورق المقدس بجوارها ، وشعرت بأني أستطيع أن أتكلم معها بحرية ، فقلت :

— إني لست متهماً ياسيدتي ! وسكتت هنيهة ، ثم قالت :

— أجل .. أجل .. أنا متعبة الآن ! وتنهدت ، ثم قالت :

— لعن الله الحرب ، وقاتل الله [illegible] !

ورفعت منظارها وأخرجت من حقيبتها منديلاً مسحت به دمعة سالت على خدها ، ثم طوت منظارها ووضعته أمامها وقالت :

— إني ياسيدتي روسية ، من أسرة معروفة في موسكو ، وقد هاجرت إلى فرنسا منذ أعوام ، لأن هؤلاء الصعاليك الموتورين ، الذين قتلوا القيصر وعائلته وأسرته ، عاثوا هناك باسم الإصلاح الاجتماعي [illegible] الظلم ، فقربت منهم لنا حتفهم .

قلت : وإذن أنت ياسيدتي من النبلاء ؟

قالت : أجل وا أسفاه .. لقد قتلوا أهلي ، وسلبوا أموالنا ومزقوا أعراضنا .. وهم الآن يجرون في الأسر الكبيرة كالوحوش الضارية ، في غير رحمة ولا شفقة ! ويقولون أن في هذا إصلاحاً .. والحق أنهم عطشى إلى الدماء ، وأنهم عصابة لصوص .

قلت : يقولون ياسيدتي إن فساد الحكام هناك ، واستبداد الظلم هما اللذان حملا الشعب على أن يثور ويفتك بكبار القوم .

قالت : ياسيدتي .. إن ظلم الشعوب لحكامهم وأمرائهم أعظم من ظلم الملوك لشعوبها .. وإن هؤلاء الثائرين يريدون المساواة بين الناس .. ويرون أن السيد والخادم يتساويان في كل شيء .. ويقولون إن كل إنسان يؤدي عمله في الحياة ، وإن النظام الاجتماعي يحتاج إلى العامل كما يحتاج إلى العالم .. ومن أجل ذلك لا يرون فرقاً بين عمل العالم المحقق الذي يسير الكون بآرائه ، والعامل الجاهل الذي يعمل عمل الآلة الصماء ، فكلاهما منتج — في رأيهم — يعمل ويفيد الإنسانية ! ثم قالت :

— هذا غريب ياسيدتي فتلك أحلام وأخطاء ، ومتى كان الناس متساوين .. إن هذا الحلم لم يتحقق في أمة من الأمم ، ولا في عصر من عصور التاريخ ، وأقل نظرة في الناس وأحوالهم وطبائعهم تدل على حماقة من يفكرون في هذه المساواة الخيالية .

وهزت رأسها ثم قالت :

— سترى ماذا يكون من جراء ذلك .. وإذا تحقق ما يريد هؤلاء الناس من انتزاع الأموال من أيدي أصحابها [illegible] وأخذوها من أربابها ، أو آلت إليهم بعدهم إلى أيد [illegible] .. ويكون معنى ذلك أن الملكية [illegible] ويصبح الفقير غنياً ، والغني فقيراً ، [illegible] ذلك ، ويحل الثاني محل الأول ويصبح هؤلاء المتصلحون كأسلافهم من أصحاب الأثرة ، ولا يفكرون إلا في شئونهم .

فقلت : ياسيدتي إنهم يريدون النصفة بين الناس ، أو كما يقولون ، يريدون أن يوزعوا الثروة على الفقراء كل على قدر حاجته .

قالت : وهل تظن أن هذا النوع من المساواة يبقى دهراً طويلاً ؟

قلت : قد يكون ذلك .

قالت : فإذا أعطيت أنا جزءاً من ضيعة ، وأعطيت أنت جزءاً مثله ، وكنت أنت نشيطاً مجداً عاقلاً ، وأنا خاملة جاهلة غبية عليلة ، فماذا يكون من أمرنا ؟ ألا تصبح بعد قليل أنت غنياً ، وأبقى أنا فقيرة معدمة ؟ ألست ترى معي أن الله لم يخلق الناس سواء .

فوجدتني غير قادر على التمادي في هذا الجدل فقطعت الحديث معها ... ثم ملت إلى منظارها ووضعته فوق أرنبة أنفها وجعلت تنظر بعينيها وتنظر إلي من تحت هذا المنظار، وهزت رأسها وقالت:

— آه يا سيدي! آه يا سيدي! إني أصدق من قول المسيح: «خلقنا لنتألم»!

فذهبت إلى خادم النزل، وكان هذا الخادم هرماً يحني الظهر، ينظر بعينين واسعتين يضحكان عن كثير من حوادث الدهر وتجاربه، ركزاً كثير الالتفات والحركة، لا يفارق منفضته (الريشة)، فلا يمر بشيء من أثاث النزل إلا أمر عليه ريشته ليزيل ما به من التراب.

فقلت له: أخبرني يا سيدي: أين أتناول طعامي؟

فقال: إننا يا سيدي في أوقات عصيبة، وأنت الآن في بلد غريب، فأشير عليك بمطعم [illegible]

وهز رأسه وقال:

— عفواً، ليست هذه نصيحة، [illegible]

فقلت: إذن . . . .

قال: أدلك على مطعم يختلف إليه المتواضعون من الطبقة الوسطى، ثم قال:

— لا، لا، أهل طبقة العمال، وأنت تفهم جيداً، إننا الآن في حرب لا في سلم، وإن الاقتصاد واجب علينا.

قلت: فهمت، ثم ماذا؟

قال: أعني أنه لا يرد على هذا المطعم إلا طبقة من عامة الشعب!

قلت: إذن لا أذهب إليه!

قال: بل يجب أن تذهب، لأن معاشرة العمال وتعرف أخلاقهم شيء جدير بالعناية، فهم السواد الأعظم من الجمهور. هم فقراء، ولكنهم شجعان. وسكت قليلاً كأنما يفكر في شيء، ثم قال:

— أجل. إنهم شجعان، هؤلاء الشبان الذين يدافعون عن الوطن، فإن هذه الحرب الدهماء يا سيدي ثقيلة على رؤوسهم، هم يحملون أعباء الحياة!

قلت: ألا ترى أن الأغنياء أيضاً يحملون أعباء كأعبائهم، ويسيرون دفة الحياة بأموالهم، وينفقون من هذه الأموال بقدر ما يبذل هؤلاء من جهودهم؟

فنظر إلي بعينين لامعتين ذكيتين وهز رأسه وقال:

— لا يا سيدي، ليسوا سواء.

ثم جئت إلى هذا المطعم، فرأيت وكتب على بابه الزجاجي ستار رقيقة رقيقة، تستر نصفه الأسفل، وعلى لوحة من الزجاج العبارة الآتية مكتوبة بخطين أزرق وأحمر معاً:

«[illegible] مرتك ونصف مرتك، والاشتراك في عشر وجبات [illegible] مرتك».

[illegible] الباب، [illegible] امرأة في العقد الخامس من [illegible] السحاب على الموائد وترصفها رصفاً [illegible] وقالت:

— تفضل بالدخول يا سيدي، وأعدت لي مكاناً وقالت:

— هنا مكانك يا سيدي.

وابتسمت في وجهي ابتسامة كاذبة، وملت إليّ بعينيها فظهر لي من فمها أسنان صناعية مرتصة، وبدا وجهها ذابلاً، وكانت أرنبتها البارزة معقوفة قوية، ولم تكن ملامحها تدل على شيء من رقة المرأة أو أنوثة النساء، حتى كان يخيل إلي وهي تتكلم في شيء من الخشونة في صوتها وحركاتها أنها رجل لا امرأة، بل كان النظر إليها يدعو إلى الاشمئزاز منها، لأنها امرأة خرجت عن طبيعة النساء، والمرأة العجوز إذا فقدت معنى الأنوثة اشمأز منها الناس، بخلاف الشيوخ من الرجال الذين حنكتهم الأيام، فقد تكون الشيخوخة وسيلة من وسائل العطف عليهم والميل إليهم.

وكانت ساحة هذا المطعم مزدانة بصفوف من الموائد

الخشبية العارية ، ومقاعد كالمقاعد التي يجلس عليها التلاميذ المدارس عندنا وقت تناول الطعام .

ورأيت في صدر هذا المطعم بابا صغيرا علق فوقه لوح به صورة جماعة من كبار ضباط الجيش ، وفي ناحية من نواحي الجدار الأيمن صندوق به ثقوب مربعة ، كل ثقب به فوطة مطوية داخل سوار خشبي ، وعلى حافة كل مربع رقم يميزه عن سواه ، خصصت كل واحدة منها للمترددين على هذا المطعم ، وكان في الجهة المقابلة لهذا الجدار صورة نابليون في إطار مذهب وهو راجع من بلاد الروس مع فرسانه منهزمين وسط الثلوج .

قالت لي هذه المرأة المهيبة :

— ماذا تأكل يا سيدي ؟ قلت :

— ماذا لديك ؟ قالت :

ضلع خروف مشوي ، بطاطس بقلي ، كرنب مسلوق ، خنزير الليلة جيدا ، ثم كريمة ... فاخترت منها صنفين ، وأحضرت عليهما نطلب منه أخرى .

قلت : لا يا سيدتي ، أنا لا آكل ذلك !

قالت ، وبسطت شفتيها وتكلمت بصوت خافت كأنها تكلمني : ماذا يا صغيري ؟ هذا النبيذ ! ...

ثم رفعت صوتها كأنها تسخر بي ، وقالت :

— لقد ظلمت نفسك !

وذهبت لتحضر لي ما أريده . فدخل رجل في سن الخمسين ، طويل القامة ، عظيم الجسم ، ذو شارب طويل ، تدلى على فمه حتى أخفى شفتيه !

فرفع قبعته العريضة الحافة وقال (يحيي الحاضرين) :

— صادق ، سيداتي

ووضع قبعته على مشجب كان بجوار الباب ، وكان يلبس سروالا فضفاضا من القطيفة (القطيفة) ظهر من جيبه مقياس خشبي (متر) وكان على وجهه أثر غبار من الجص ، فعرفت أنه بناء . ثم مد يده إلى الصندوق الذي بالحائط ، وأخذ منه فوطته ووضعها حول عنقه ، وتدلت على صدره كما يصنع الحلاقون عندنا ، وجلس أمامي ، فجاءت له صاحبة المطعم بزجاجة من نبيذ ، وصحفة حساء فارغة ، وذهبت . فتناول الزجاجة وصب النبيذ في الصحفة حتى ملأها ورفعها إلى فمه ، وأخذ يعب ما فيها عبا ، فلما أزال الصحفة عن فمه كان قد أتى على كل ما فيها ثم تنهد استحسانا : حا ، حا .

وكان شاربه الطويل قد انغمس في النبيذ ، فتساقط منه رذاذ فأخذ يمتصه بعد أن أدخله في فمه بين أسنانه ، فتعجبت من هذا الرجل ، وكان غيره من الآكلين على مثل هذا النحو ، فخرجت من هذا المطعم ولم أعد إليه .

(فا يوه) **أحمد ضيف**

جيوكوندا

(بقية المنشور على صفحة ٢٢)

... تعرض هذه الصورة في المعرض ... أن الجانب الجامع منها إنما لا حد له راجع إلى التأثر بآراء السلف في هذا التمثيل . وكتب أحدهم : « إن الرأي في قيمة تحفة من التحف قد ينتشر انتشار الوباء من كاتب إلى آخر ، حتى يتاح له شخص عنيد لا يتأثر بآراء الغير ، فيستطيع أن يثبت في بعض الأحيان أن تسعين في المائة من المداحين إنما يمدحون ما طلب منهم أن يمدحوا به » .

وفي الحق أن شهرة هذه اللوحة الفنية تسبق رؤيتها ، وليس بعيداً أن يقف أمامها زائر عادي لم يسمع بها ، ولا يطالع الرأس لأقوال النقاد والأخصائيين فيها ، فلا يجد في وجهها ذلك السر الذي يبحثون عنه .

ومهما يكن من شيء فإن أحداً لا يستطيع أن يشك في أنها صورة متقنة لسيدة جميلة فيها ذكاء ، ورقة ، وثقة بالنفس !!!

زكي محمد حسن

من أحاديث العلوم

للدكتور السويسي

أقمار عديدة :

المشترى كوكب كالأرض يدور حول الشمس . وهو أكبر من الأرض ١٣٠٠ مرة . ويستغرق ١٢ سنة ليدور حول الشمس دورة تدورها الأرض في سنة . وهو بعيد عن الشمس بعداً كبيراً ، ولهذا يناله من حرارتها الشيء القليل . ويتركب جسم المشترى من كرة من الصخر يعلوها أقيانوس من الماء يبلغ عمقه آلافاً من القامات ، ولكنه متجمد من شدة البرودة . وعلى سطحه زوابع هائلة عارضة تشبه وجهه فتصبغه باللون الأحمر والأرجواني والبني . ويحجب هذه الزوابع [illegible] المشترى كثيف الغمام [illegible] .

وللأرض قمر واحد ، ولكن [illegible] عدة ، اكتشف الأربعة الأولى منها جاليليو Galileo عام ١٦١٠ بمنظار من خشب طوله قدمان . وهذه الأقمار الأربعة تدور حول المشترى في سرعة كبيرة ، وهي تغطيه وجهها وتكشفه . وأوضاعها فيما بينها تختلف اختلافاً بيّناً كل ليلة . وهي قد تختفي وراءه أو تدخل في ظله فلا تبين . والمشترى غير هذه الأربعة الأقمار خمسة أخرى أقل حجماً ، أولها اكتشف في مرصد لك Lick بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة عام ١٨٩٢ ، وثانيها وثالثها اكتشفا في نفس المرصد عام ١٩٠٤ — ١٩٠٥ . ورابعها اكتشف في مرصد جرينتش Greenwich عام ١٩٠٨ . وفي عام ١٩١٤ كان طالب متخرج من الجامعة حديثاً — واسمه نكلسن Nicholson — ينظر إلى الأقمار في مرصد لك فلمح قمراً للمشترى جديداً كان هو القمر التاسع .

واليوم يعلن معهد كارنيجي أن الدكتور نكلسن — وقد ظل في كاليفورنيا يرقب النجوم من عام ١٩١٤ — قد اكتشف للمشترى قمرين جديدين هما القمر العاشر والحادي عشر . فما الذي أقعده عن كشفهما أربعة وعشرين عاماً انصرمت منذ كشفه القمر التاسع ؟ أو ما الذي جدّ حتى استطاع اليوم ما عجز عنه بالأمس ؟ جدّ أن أجهزة الفلك ضُمّ إليها جهاز جديد هائل : تلسكوب أو منظار مقرّب ، قطر مرآته مائة بوصة أو نحو ٢½ من الأمتار . وقد أقيم على جبل ولسن بأمريكا Mt. Wilson . وتسمى التلسكوب والمرصد الذي يضمه باسم الجبل .

ثم أتتنا الأخبار بأن تلسكوباً جديداً في سبيل البناء ، قطر مرآته مائتا بوصة أو نحو من خمسة أمتار ، وهو يبني [illegible] كبير . وهذا المنظار سيكون في [illegible] من شعاعات الكواكب أو النجوم ويعكس [illegible] أربعة أمثال ما يعكس منظار المائة [illegible] أن نكتشف بواسطته بلايين من نجوم [illegible] .

دجاج لا يعرف ما تراب الأرض :

الأصل في الدجاج أنك تتصوره طليقاً يجري على الأرض ينبش ترابها بأظافره فيلتقط منه الحبّ . ولكنا نظن أن هذا النوع من الدجاج الذي عهدنا أصبح لا يوافق المدنية الحاضرة ، لأن مساكن المدن ليس فيها الساحات التي تتسع لجري الأطفال ، ومع جري الدجاج ، وهي لا تحتمل قذارته ، وهي قذارة يخطّها الدجاج على الأرض حيث سار ، فلا حصر لكثرتها . وليس لها من الوجهة الصحية ضابط . إذن لا بد من دجاج لا يجري ، بل يقضي حياته جاثماً أو واقفاً ، وهو هنا يأكل ويسمن ويبيض !

فهذا هو الدجاج الجديد الذي استحدثته الولايات المتحدة فجعلت منه صناعة جديدة كاملة، تجرى كل أدوارها بين جدران ناطحات السحاب في مدن الولايات الكبيرة مثل نيويورك وشيكاغو.

وقد استغرق استحداثه سنوات عديدة. ومشروع هذه الصناعة الجديدة ناجح من الوجهة الاقتصادية. وقد بلغ من نجاحه أنك تجد الآن بعضاً من كبار فنادق تلك المدن تفرخ دجاجها وتربيه في أدوارها العليا، وهو ينزل من تلك الأدوار إلى مطابخها مباشرة فلا يرى الشارع. وكذلك البيض، إلا ما استثنى منه للتفريخ.

والدجاج على هذا النظام لا يحتاج إلى عناية كبيرة، فالرجل الواحد يستطيع أن يعتني بـ ٧٥٠٠ دجاجة، والدجاجة الواحدة تسكن قفصاً هو لها وحدها، ولذا أصبح



عاملة بين الدجاج في حظائره

سقطت البيضة منه من ذات نفسها فجرت فوق منحدر يُؤْمَن عليها من ذات نفسه أيضاً رقم القفص الذي بيضت فيه، وبهذا يعرف العامل كم تبيض الدجاجة. وإذا انقص بيضها ذبحها ورمى بها تحت الموائد.

وقد يتساءل المرء: أن الدجاج على هذا النظام الذي هو أشبه بنظام الحبس، في هذا السجن وتحت هذه الظروف التي تتعارض مع الطبيعة معارضة كبيرة، لا يمكن أن يصح ويطيب. ولكن الواقع يثبت غير ذلك، فالدجاج تظهر عليه مظاهر الصحة والانتعاش، بل هو في الحق صحيح سليم، فنسبة الوفيات فيه دون نسبتها في الدجاج الذي يربى حيثما اتفق على الطريقة البلدية. ذلك لأن العناية الصحية، وهو حبيس أسهل منها وهو حر طليق.

وكان من فوائد هذه الحبسة أن أمكن للمحدثات أن تجرى عليها تجارب كالتي تجربها العلماء في المعامل على الحيوانات. ومن تجاربه الغريبة تجربة تأثير الموسيقى فيها، وقد وجد أن الموسيقى تزيد في بيضها ٢٠٪، ومن أعجب … عليها الألحان العذبة من مقاطع يجعل من … إلى ما بعد غروب الشمس!

دوار البحر

كل من ركب البحر لأول مرة لا يمكن أن ينسى ما لاقى من البحر تعبه ومشقته. كيف ركبه مرتاحاً مطمئناً يرجو فيه الهواء الطيب والغذاء الشهي والوقت السعيد، فلا تمضي ساعات حتى تجدك في مخدعك منبطحاً في جو فاسد قليل هوائه، وحتى تجد رائحة الطعام، بل ذكره، تثير خوالجك بقارعة التفريغ. سألت صديقاً: هل تصيب الدوار أبداً؟ قال: نعم لما أمضيت في البحر ساعات أربع ثم أربع ثم علمت أن هذا قد يدوم أربعة أيام.

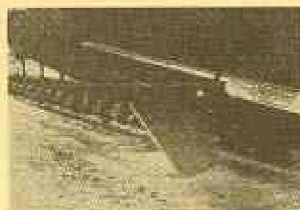
والسفينة إذا اضطرب البحر لها حركتان مألوفتان، حركة رأسية، وحركة جانبية. ففي الحركة الرأسية تغوص السفينة برأسها في الماء رافعة ذيلها ثم تعود فترفع الرأس وتغوص بالذيل. وفي الحركة الجانبية تميل السفينة على جانبها الأيمن ثم على جانبها الأيسر، وهكذا دواليك.

وشر المركبين، وأقلهما في النفس تقبلاً تلك الحركة الجانبية الخبيثة.

وقد حاول العلماء أن يعالجوا دوار البحر فسلكوا له طريقين: أحدهما علاج الإنسان والآخر علاج السفينة.

أما الإنسان فقد اكتشفوا له في السنوات الأخيرة عدةً من مواد كيميائية صنعوها حبوباً يبلعها المسافر عند إحساسه بالخطر. واشترطوا أن يكون البلع قبل الإحساس بنصف ساعة أو نحوها، ومن أين للرجل المسكين، أو المرأة وهي أكثر مسكنة، أن تضرب في الغيب فتعلم بالضبط متى تقع الواقعة، وهي واقعة علم الله تأتي الناس بغتة وهي غير مستحياة في أسوأ الظروف وأوجبها الهدوء والاستقرار! على أن الذين استطاعوا التحصين الفعّال قال بعضهم إنها تنفع، وقال آخرون إنه لا [illegible] ما تخدع بها الأنفس فتأمن وتستقر [illegible] أمنه واستقراره.

أما السفينة فآخر ما حاولوه في [illegible] الفولاذ السميك دوارة [illegible] تحركها في [illegible]



قاع سفينة تظهر فيه صفيحة ثابتة فيه بطون

الماء، وتدور هذه الصفائح على محاور دوران المراوح محدثة بطن السفينة في اتجاه يتعاكس عليها، وتتصل هذه المحاور في بطن السفينة بجهاز أوتوماتيكي يضبط أوضاعها من ذات نفسه، فيحرك المراوح بما يكافئ حركة السفينة المائلة في البحر المضطرب. وقد جربوا هذه المراوح في سفينة تجري في بحر عاتٍ اضطرب أشد اضطراب كأنها في بحر هادئ.

ويسأل سائل: عالجنا الإنسان والسفينة، فهل من علاج للبحر؟ والجواب نعم: الزيت يُصَبّ عليه فيهدأ من أعصابه ويتلطف من أمواجه. فهو يمتد على الماء كالبساط الصقيل فيزلق الماء من تحته انزلاقاً لا مقاومة فيه. ولكن أين الزيت الذي تغطى به البحار؟

عيون تُقال!

قرنية العين هو الغشاء الشفاف الطاهر الرائق الذي يغطيها وتنفذ منه أشعة الضوء إلى إنسانها.

وهذا الغشاء يفسد ويتعطل وتتعطل به وظيفة النظر إن قليلاً وإن كثيراً. وقد استطاع الطب في السنوات الأخيرة أن ينقل القرنيات من الأموات فيهبها [illegible] الأحياء [illegible] فيعود النظر الذاهب أو يقوى الضعيف. وقد [illegible] كثيراً. ومن آخر ما يروى في [illegible] فتعلق بها أمله، فكتب إلى [illegible] الناجين قد حكم عليهم بالإعدام، يستعيرهم عيونهم من بعد موتهم فلم يظفر منهم بطائل.

وجرت الأمور بالقسيس حتى إلى سيدة صديقة كانت في النزع الأخير. وكانت في الخامس عشر من عمرها. وأجرى القس المراسم المألوفة فطابت نفسها واطمأنت. ورفعت بصرها إلى السماء، ثم قالت: «إني أرى الله على عرشه. إني أرى الجنة. ألا ما أطيب! الآن ما أجمل!!» ثم أغمضت عينيها.

عندئذ هبت بنتها في تأثر شديد، ووجهت القس عليها. قالت: «أرجو أن يكون لك منها ذكرى حية من ذكراها».

وقد حقق الطب رجاءها من بعد ذلك.

السوربسى

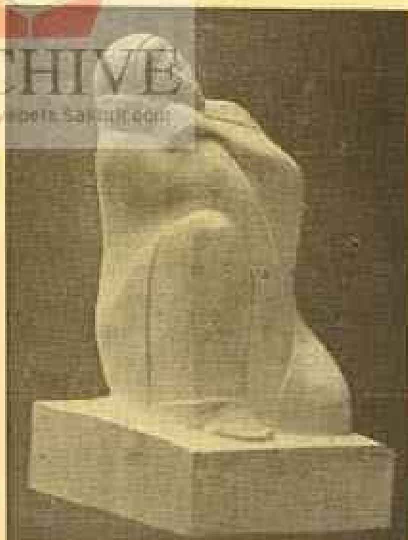
أنباء الفن والأدب:

الفنانون المصريون
في معرض البندقية

للمرة الأولى ساهم الفنانون المصريون في معرض عالمي ذي صفة فنية محضة ، وهي ذلك معرض بيانال في البندقية . ولقد حظي الجناح المصري لهذه العروض بالزيارة الرسمية السامية لحضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا وصاحبة السمو الملكي أميرة سافوا ، وجلالة الملكة ماري ومعها صاحبات السمو الملكي الأميرات ، فكانت أعمال الفنانين المصريين موضع التقدير العالي والثناء الجميل ، كما احتفلت بها الصحافة الدولية والجمهور من سائر الأجناس .



[illegible] — محمود مختار



الأحلام — محمود مختار

ولقد عرضت أخيراً هذه التماثيل والصور واللوحات في قاعة المعرض الكبرى في فندق الكونتيننتال ، تنويهاً بها ، واحتفالاً بجودتها الظاهرة وبما أحرزته في الخارج من شرف المكانة ، وطيب الذكر .

ويكفي في البحث مثلاً أروع تمثيل في مخلفات المرحوم محمود مختار أول مثالي مصر الحديثة وأعظمهم . وإن الناظر إلى ما أبدعه من الدمى للسلالات المصرية ، لا يخفى إعجابه بخطوط هذا القوام السمهري ورشاقته ، والفنان مختار يؤدي



[illegible] — المثال إبراهيم جابر

حياة خاصة لكل منهم تتجلى فيما يخلقونه من أشكال.

أما التصوير، فلا خلاف في أن الذين يتزعمون الأنظار ويستوقفونها من المصورين، هما محمود سعيد ومحمد ناجي، وإذا كان أحدهما يذكرنا بالآخر، فكما يذكرنا النقيض بالنقيض. فالأول يشير إلى ظلمة الأعماق، أعماق الغرائز في النفس الإنسانية، متمثلة في الأجسام المشدودة المتوترة، والصدور المكتنزة الناهدة، والنظرة الثابتة الحادة، وألوان الأعشاب الحارة، والشفاه المتقدة. وفي الجملة يشير إلى هذه القوى الغالبة، قوى الجنس المكبوتة.

وإلى جانب هذه النوازع المظلمة، المكتنزة القوية القيدة المركزة، يصعد ناجي بنور ألوانه الساطع وحركته الخفيفة السارية، فهو مفتون بالنور [illegible]، [illegible] وشفافيتها [illegible] الصريحة [illegible]، لا يطامن من وضحها، ولا يكسر من حدتها [illegible]، فلا غرو أن تخطف [illegible] الأعين، حتى إذا اطمأن الناظر [illegible] استمتع بها.

ومن رواد المصورين [illegible] عدلي، أحمد صبري ويوسف كامل

الفن كله في بساطة مدهشة تتركز فيها قوة أسلوبه، وهو أسلوب شخصي وقومي معاً.

ويأتي بعد المثال مختار الذي عاجلته المنية في [illegible] وقبل الأوان، طائفة من المثالين الناشئين، أمثال أحمد عثمان، ومنصور فرج منصور، وسيد [illegible]، وعبد القادر رزق، وإبراهيم جابر، جمعوا إلى البراعة الفنية التي تعلموها في معاهد الفن في مصر وأتموها في الخارج،



راعي من رعاة الجبلة — المصور محمد ناجي



عازف العود — للمصور أحمد صبري

وراغب عياد . وقد اختص كل منهم بناحية ، فالأول يرجع إلى تصوير الأشخاص وحياة المرأة في الجهر أو رعشة الاستقبال . والثاني إلى المقابلة بين النور والظلال في الريف حتى الأكواخ والمنازل الفقيرة . والأخير عنوانه مظاهر الحياة الشعبية ، ويعاشر في صوره طبقات العامة فلا يستهم الشريفة وحركاتهم الرخلة وصوتهم الطليق .

ولا أحب أن أنسى أيضاً دارسي فناني الطليعة الفانية الماضية ، كما تذكر الفنانين : على كامل الديب وحسين محمود فوزي وصبحيا سعد وغيرهم ، وهم أصحاب أمل عاشر غير ومستقبل زاهر سعيد .

ونخلة ، فإن هذا العرض ، وإن لم يضم جميع الفنانين ، إلا أنه جاء أقرب ما يكون إلى الصحيح عن النهضة الفنية عندنا ، والتطلع لمصر الحديثة التي مصر الثالثة ، عهد الفنون الجميلة من قديم . (ص)

صبيان في ريفنا — للمصور يوسف كامل

من أحسن ما يُروى

دراسة واختيار

للأستاذ أحمد الزين

تمهيد :

كان يقال في حكمة الأوائل : « اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون ».

ويحسن بي – قبل أن أتحدث بأحسن ما حفظت – أن أنبه إلى أمور خمسة :

(١) أرى أن الذوق الأدبي وملكة النقد الفني إنما يُخلقان ، وينموان في نفوس المتأدبين بكثرة ما يحفظون ويقرءون من جيد الكلام نظماً ونثراً ، ويتعرفون وجوه الكمال والارتفاع فيما حفظوا ، ونواحي النقص والانحطاط فيما تركوا ، ثم يدأبون على تطبيق ما لم يسمعوا على ما سمعوا ، وقياس ما لم يعلموا على ما علموا ؛ وهكذا حتى تصبح ملكاتهم قادرة على ابتكار ضروب في النقد لم يُسبقوا إليها ، وطرق جديدة في تمييز الكلام لم يدلّهم عليها أحد .

(٢) أرى أن الفساد والضعف في الشعر الحديث يرجعان إلى عدة أسباب ، أقواها أن ناشئة الشعراء في هذا العصر لم يرجعوا في تعلم الشعر إلى مصادره التي منها بُعث وفيها نشأ واكتهل ، فلم يقرءوا من شعر الفحول المتقدمين إلا قليلا ، ولو فعلوا لأكسبهم ذلك الشعر تقويماً لألسنتهم ، وتحسيناً وانتعاشاً في أساليبهم ، وحياة وقوة في عباراتهم ، وتعلموا من ذلك الشعر كيف يبرزون إحساساتهم وعواطفهم وأخيلتهم في صور واضحة الدلالة بينة المعالم لا غموض فيها ولا التواء ، لكنهم رجعوا في تعلم الشعر إلى ما يُنشر في الصحف كلَّ حين من شعر الضعفاء ، وطبيعيٌّ أن الفرع أضعف من الأصل ، والتابع في الدرجة الثانية من متبوعه .

(٣) لا أريد في هذه المختارات أن أكلف نفسي فوق مقدرتها ، باختيار ما يوافق جميع الأذواق ولا أكثرها ، فإن الناس تختلف أذواقهم في تقدير مقطوعات الشعر وغيره من الفنون اختلافاً بيّناً ، وذلك لتنوّع الرغبات باختلاف الثقافات ، وتباين البيئات والظروف المحيطة بكل منهم ، وحسبي أن أختار ما أراه حسناً مفيداً موافقاً لأصحاب الذوق الأدبي الرفيع الذي كوّنه الاطلاع الواسع والإحاطة التامة بالأدب العربي في جميع عصوره ، فإن رأى سوى هؤلاء غير ما أرى فله رأيه .

(٤) [illegible] لا [illegible] بة الحُسن الكامل في رأيي غير [illegible] إلى زيادة أبيات قبلها لم تبلغ رتبتها في الحُسن [illegible] أثبتها ليكمل المعنى ويتصل السياق ، وتكون هذه الأبيات التي أضطر إلى إثباتها بمثابة قاعدة لهذا التمثال البديع في فنه .

(٥) رأيتُ أن أضبط ألفاظ تلك المقطوعات ضبطاً كاملا ، وأفسر ما يحتاج إلى التفسير من غريبها ، وأشرح ما أراه محتاجاً إلى الشرح من غوامض عباراتها وأبياتها ، تيسيراً للانتفاع بها على جميع طبقات المثقفين ، متوخياً إبراز ما في كل مقطوعة من وجوه الحسن والكمال الداعية إلى اختيارها ، مع الإيجاز في ذلك قدر المستطاع .

ابن الرومي يصف (وحيد) المغنية ويشبب بها :

لم أقصد في اختيار هذه المقطوعة إلى عبارات ضخمة فخمة ، أو أسلوب ذهب به صاحبه مذهب العرب الأولين في قوة النسج ومتانته ، أو فنٍّ لفظيّ بديع الصنع ؛

فالمقطوعة خالية من ذلك كله ، وهي أشبه بلغة الكتاب وطريقتهم في تأدية المعاني ، منها بلغة الشعراء وطريقتهم في ذلك ، لما تراه فيها من بسط للمعنى وسهولة في الألفاظ لا يكادان يتفقان إلا في النثر . ألا ترى إلى إجمال المعنى ثم تفصيله في البيتين الرابع والخامس ؟ وإنما قصدتُ في اختيارها إلى ما أحسه فيها من قوة التفكير ودقة التصوير والإحاطة بالمعنى من جميع نواحيه أو أكثرها ، والاتجاهات المبتكرة غير المبتذلة المطروقة في النسيب والغزل ووصف غانيتين ، وإبراز الصور البديعة في ثوب من البيان السهل المُشرق النقي من الصناعة ، وتكلف فنون من التحسين اللفظي

تلك نبذة مجملة عما أراه من وجوه الحسن في هذه المقطوعة ، وهي تغني عن التفصيل ، قال :

يا خليليَّ تيمتني وحيـــد
ففؤادي بها معنًّى عميد
غادة زانها من الغصن قدٌّ
ومن الظبي مقلتان وجيدُ
وزهاها من فرعها ومن الخد
دين ذاك السواد والتوريدُ(١)
وغريرٌ بحسنها قال : صفها
قلت : أمران ، هيّنٌ وشديدُ(٢)
يسهل القول : إنها أحسن الأشـ
ـياء طُرًّا ، ويعسُرُ التحديدُ

تتجلى فتفتن الروح إليها
شوقَ محزونها ومسعودُ
طيبة تسكن القلوب ورودا
ها ونغمتها لها تغريدُ(١)
تتثنى كأنها لا تمشي
من سكون الأوصال وهي تميدُ(٢)
لا تراها هناك تجحظ عين
لك منها ولا يبدو وريدُ(٣)
من هدوء وليس فيه انقطاع
وسجو وما به تبليدُ(٤)
ولها في خلو صوتها عنق كالـ
ـقمري كأنّ عاتقيها مديدُ(٥)
حكى الدلال والغنج منه
وراء السجف فكاد يبيدُ(٦)
فتراه يموت طورا ويحيا
مستلذ بسيطه والنشيدُ

(١) الغيد : التي أشباه الحب وأسقمه .
(٢) فرع المرأة : شعرها التام الوافي .
(٣) الغرير : الجاهل .

(١) الفرية : ما ترجعه الحناجر من حسن الصوت ، ونكاه صوته تشبه حركة الإنشاد .
(٢) الأوصال : الأعضاء ، يريد بهذا البيت والذي بعده أن الغناء طبيعة لها لا تتكلف به تكلفا يخرجها عن حسنها وحلمها بحركات أعضائها وتعب وجهها ونحو ذلك ، كما نرى في بعض المغنين عندنا .
(٣) جحظت العين : نتأت حدقتها .
(٤) يريد بالسجو هنا : إرسال الصوت في سكون واطمئنان .
(٥) خلو الصوت : عاجه التي يخرج منها .
(٦) الغنج والدلال : كلاهما بمعنى واحد ، والسجف : الحجاب ، ويبيد : يفنى .

فيه وشيٌ وفيه حَلْيٌ من النَّـ
ـغمِ مصوغٌ يختالُ فيه القصيدُ
حالتِ [illegible] وما ترجّعُ فيـ
ـه كلُّ شيءٍ لها بذاك شهيدُ
هو يشبعُ الظمـا وغناءٌ
عنده يوجـد السرورُ الفقيدُ(١)
فلها الشعرُ لائمٌ مستزيدٌ
ولهـا الشعرُ سامعٌ مستعيدُ
ما تعاطى القلوبَ إلا أماتت
بيولها ميتٌ [illegible]
عجبًا أنهـا إذا عدت الأ[illegible]
[illegible] وهمُ [illegible]
واستزادت قلوبهم من هواها
[illegible] وما [illegible](٢)

ليت شعري إذا أتاح إليها
[illegible] الطرفِ مشرقٌ ومعيدُ
أهو شيءٌ لا تنالهُ الظنُّ منه
أم لها هيكلٌ ساقه تجديدُ
بل هي النفسُ لا يزالُ من أسنة
رجعٌ يبلي [illegible] وتبديدُ
منظرٌ ، مشهدٌ ، تعالى من الله
ـه ، فقد [illegible] تقييدُ(١)
ما تراكين ، نظرةٌ منك موتٌ
لي ميتٌ ، ونظرةٌ تخليدُ
[illegible] المحلفة [illegible] وقد
[illegible] ونحلة تشديدُ

أحمد الزين

(١) يشبع الظما : يروي الظمأ
(٢) [illegible]
(١) [illegible]

مرتبات الموظفين في عصبة الأمم

يتقاضى سكرتيرها العام مرتباً ضخماً ليتمكن من الظهور بالمظهر اللائق بوظيفته ، ويليق به في الولائم التي لا تحسب [illegible] في الأسبوع . وهذا المرتب قدره ١٢٠٠٠٠٠ فرنك في العام . ويتقاضى مدير مكتب العمل الدولي ٨٥٠٠٠٠ فرنك في العام ، خلا نفقات أسفاره وما يعطى له بين الحين والحين أجراً على أبحاث خاصة وأعمال لا يتفق نفعها . ويتقاضى كل من مساعدي السكرتير العام ٦٧٥٠٠٠ فرنك . وفي العصبة كذلك مائة موظف وأحد عشر موظفاً تتراوح مرتباتهم بين ٥٠٠٠٠ وخمسة آلاف فرنك في العام . ولدى العصبة كذلك هيئة كاملة من الكتاب على الآلة الكاتبة والفارغين من الأعمال ، يتقاضون مرتبات تتراوح بين ٤٣٠٠٠ و ١٢٠٠٠٠ فرنك في العام

وهذه الآلاف كلها ، يدفعها حضرات الأعضاء الواقفون على دفع الاشتراك إلى اليوم . وقد قل عددهم جداً !



عشرة أيام فى العراق

للأستاذ الدمرداش محمد

٤ — فى مدينة بغداد

وصلنا بغداد مساء يوم الأحد ٦ فبراير سنة ١٩٣٨ بعد أن قطعنا بالقطار و... ١٧٠٠ كيلومتر، (أى قدر المسافة بين القاهرة ... وأسوان مرتين)، ونزلنا بالوكاندة (تيودور) وهى لوكاندة قديمة مشهورة، وقد استجد ببغداد غيرها أحسن منها بناء وأوفر استعداداً؛ واللوكاندة وجهتان تطل إحداهما على الشارع الرئيسى للمدينة (شارع الرشيد)، وتطل الأخرى على نهر دجلة.

جلست فى الشرفة فى ضوء القمر أنظر إلى منازل الشاطئ "المقابل" شاطئ "الكرخ"، وإلى دجلة وماء دجلة، وإلى جسر "القوارب"، وإلى منازل "الرصافة"، وإلى شجر النخيل، وإلى القوارب الراسية فى النهر، وإلى السماء، وإلى الأرض؛ وأطيل النظر، وأعيد ذلك وأكرره، لعلى أوح إلى النفس بشىء من عظمة بغداد الغابرة!

احتسيت فنجاناً من القهوة، ودخنت سيجارة، واتخذت معطفى، وغيرت مكانى وجلست فى مقعد أوسع، ثم حاولت أن أستشعر شيئاً من عظمة بغداد: بغداد عاصمة الرشيد، مقر الخلافة، مقر الثروة والغنى والبذخ والجاه العريض، مقر الأدب والعلم والقصور الفاخرة، مهبط الشعر والفن والجمال الرائع، فلم أجد صدى لشىء من ذلك فى نفسى! فمنازل الرصافة كمنازل مصر القديمة على النيل عتيقة لا جمال فيها ولا فخامة، ومنازل الكرخ على الشاطئ "المقابل" كمنازل الجيزة على النيل، عتيقة كذلك لا جمال فيها ولا فخامة. ودجلة بين الرصافة والكرخ كالنيل وقت الفيضان بين مصر العتيقة والجيزة، ماؤه عكر وشواطئه عارية لا جمال فيها ولا تجميل!



جسر القوارب على دجلة

ثم احتجب القمر واشتد البرد، فدخلت بهو اللوكاندة حيث وجدت فى ركن منه حفلاً قدم لحضرة رجال التعليم بالعراق، أتوا للترحيب بنا والتعرف إلينا، فتكرم سعادة الشاوى باشا وقدمنى للحاضرين، وكان سعادة السيد طه الراوى مدير عام المعارف (وكيل الوزارة) يتكلم عن التعليم بالعراق، ماضيه وحاضره ومستقبله بعبارة هادئة متزنة؛ ثم تعرفت بالسيد محيى الدين ابراهيم مدير عام البحث الفنى والسيد

يوسف عز الدين المفتش العام والسيد هاشم الألوسي مدير منطقة معارف بغداد والسيد عبد الجبار شلبي مدير التعليم الابتدائي ، وكان مما سرنا إطلاعنا عليه بصفة عامة بعض المشاكل التعليمية والاجتماعية التي تواجه رجال التعليم العراقي ، وقارنا بينها وبين ما نواجه نحن في مصر شبه كبير : فمسألة تعليم البنت ، ومسألة اختيار نوع التعليم الذي يلائم البيئة والحاجة ، ومسألة التعليم العالي والجامعي ، كل هذه وما شابهها لا تزال مشكلات يحاولون حلها على وجه يتفق وحاجة الشعب العراقي وتقاليده .

وظهر لي من سياق الحديث ومن زياراتنا لبعض المدارس والمعاهد العلمية فيما بعد أن رجال التعليم في العراق أكثر منا حرية واستقلالا في عمل منا كلهم ، وذلك لأسباب كثيرة : منها أنهم يبنون على أساس حديث منظم من وضع أيديهم ، كما أنهم غير مقيدين بدرجة كبيرة بتقاليد قديمة موروثة وغير ملزمين باحترام [illegible] وصراعاتها في جليل من الأمور أو صغير . [illegible] والاستقلال وتخلصهم من قيود القديم وتحديدهم للمذاهب التي يتوخونها في التعليم والأغراض التي يرمون إليها ، أمكنهم أن يضعوا نظامهم التعليمي على أسس بسيطة خالية من التعقيد والتبذير ، وأن يرفعوا التعليم في زمن وجيز إلى مستوى يحسدهم عليه كثير من الأمم الشرقية المجاورة لهم . ومما لاحظته أن الوسط المدرسي عندهم قليل التباين والاختلاف . فالتعليم الابتدائي مثلا نوع واحد ، فليس هناك تعليم أولي قديم وتعليم أولي جديد وتعليم إلزامي ، بل تعليم ابتدائي واحد للجميع . ومدارس تخريج المعلمين تخضع لنظام واحد وروح واحدة . والتدريب العسكري إجباري في جميع المعاهد المتوسطة وما فوقها من غير تفرقة أو تمييز .

ومما يغبط عليه رجال التعليم بالعراق ثلاثة أمور هامة : أولها استعدادهم الحسن لقبول النصيحة والمعونة الخارجية . وثانيها ديمقراطيتهم في تصريف الأمور والتفاهم عليها ، فقد قيل لي إن ناظر المدرسة مهما كانت درجتها يمكنه أن يخاطب مباشرة وبالتليفون أو الكتابة أو المقابلة كل الكبار في وزارة المعارف ، من الوزير فنازلا ، في الأمور المتعلقة بمدرسته من غير أن يكون ذلك موضع لوم أو نقد أو استغراب . وثالثها انتفاعهم بكل الكفايات المتخصصة من غير نظر إلى اعتبار السن أو اللغة ، والشبان العائدون من البعثات في الخارج يعينون في وظائف فنية هامة لا يصل إليها شبابنا إلا بعد سنوات طويلة .

ومما لاحظته في هذا الباب أيضا وجود صلة صداقة متينة بين رجال المعارف وحكام الأقاليم ، ففي زيارة الحلة [illegible] مدرسة ريفية كان حاكم الإقليم [illegible] المعارف الذين رافقونا يتحدثون في أمور التعليم المتعلقة حديثا وديا ويتناقشون في الإجراءات مناقشة [illegible] وصالح الإقليم . فيطالبهم المدير بأمور [illegible] من غير أن تشعر من لهجة الحديث أو طريقته أن هناك آمرا ومأمورا .

وفي صباح اليوم التالي خرجت إلى شارع الرشيد ومشيت فيه مسافة طويلة ورأيت يد الإصلاح تعمل بجد في تنظيفه وتنظيمه . ولا تزال بعض المباني القديمة بارزة في الشارع خارجة عن خط التنظيم . ثم دخلت بعض الحارات والأزقة وهي في مجموعها كثيرة الشبه بمثيلاتها بالقاهرة ، فيها من طابقين ، ولا يزال بعضها محتفظا بطابعه الشرقي القديم من مشربيات وزخرفة من الجص على هامش الأبواب والنوافذ عليها فسيفساء الخ . ويستخدم أهل بغداد

ملحوظة : ميزانية التعليم في العراق تبلغ نحو ٩٠٠ ألف جنيه أي نحو ٢٠٪ من الميزانية العامة وعدد المدارس الابتدائية ٢٠٠ مدرسة بها نحو ٣٠٠٠ معلم ومعلمة و ٧٥٠٠٠ تلميذ وتلميذة ، وعدد المدارس الثانوية والمتوسطة ٤٤ مدرسة وعشر مدارس عالية في الطب والصيدلة والحقوق والمعلمين والحربية .

في بناء البيـوت طوبا مشويا لونه ضارب إلى الصفرة، ويتركون ظاهرها من غير طلاء اكتفاء بلون الطوب، كما أنهم قلما يركبون على الشبابيك دفافا من الخشب بل يكتفون بلف الزجاج. والغالب أن تخص كل عائلة بمنزل مستقل، ولهذا كانت أجور المساكن ببغداد مرتفعة. وأما المساكن التي على النظام الحديث فقليلة ولا توجد إلا في بعض الأحياء المستجدة.



ضريح السيدة زبيدة في ضواحي بغداد

ثم تجولت في أسواق المدينة، وبعضها ضيق ضيق من النوع المسقوف، والحوانيت صغيرة كثيرة الشبه بحوانيت سوق النحاسين بالقاهرة، والحركة فيها عادية، ومعظم الزائرين من الرجال، وأما النساء فعددهن قليل ومعظمهن من الفلاحات (نساء الفلاحين) سافرات الوجوه يلبسن إزارا أسود واسعا، ويضعن فوق رؤوسهن «العصبة» و«الشنس»، ويكثرن من الوشم على الذقن والشفاه. ودخلت سوق الصاغة ومعظم معروضاته من الفضة المشغولة، وبعضها مطعم بالمينا السوداء من صناعة الصابئة. وفي العودة إلى اللوكاندة التي في شارع الرشيد سيدات تلوح عليهن النعمة، يسرن وحيدات سافرات الوجوه يلبسن العباءة السوداء (العبا)، ويغلب

عليهن طول القامة، ونحافة الجسم، وبياض الوجه، وحسن الملامح.

وفي الضحى توجهنا لزيارة البلاط الملكي، وهو يقع في شمال المدينة، وقيدنا أسماءنا في السجل، وقابلنا هناك معالي السيد رشيد الخوجه السكرتير الخاص لجلالة الملك غازي، ومعالي السيد عبد الله الدملوجي رئيس التشريفات.

ومن البلاط ذهبنا لزيارة ضريح المغفور له الملك فيصل، وهو عبارة عن قبة عالية يحيط بها بناء مربع الشكل جميل الوضع والموقع.

ثم انتقلنا إلى ديوان رياسة الوزارة، حيث قابلنا فخامة الرئيس جميل بك المدفعي مقابلة لطيفة، وهو ... التواضع، يلبس البدلة والسدارة (الفيصلية) — ورأيته في دائرة سعادة عزام بك، لا يتكلم إلا قليلا، ... أكثر كلام الآخرين، أومأ برأسه علامة ...، وإذا اشترك في الحديث عبر عن رأيه الخاص. وقال لي بعض الحاضرين: إن المدفعي بك يتمتع بمحبة الشعب واحترام الأحزاب، تقلد أمور الدولة عقب محنة الزعيم بكر باشا صدقي قائد الجيش، وكانت البلاد على شفا حرب أهلية، فتوسل بحكمته وحزمه ودهائه إلى تلطيف الحالة وإعادة السكينة. ورأيته ثانيا مع جلالة الملك غازي في حفلة افتتاح المؤتمر الطبي وهو يخطب، فكان واضح الصوت رصين العبارة، وكانت خطبته متينة قصيرة خالية من التنميق.

وديوان الرياسة بسيط يتكون من غرفتين في الطابق العلوي من بناء قديم، إحداهما للسكرتير والأخرى لفخامة الرئيس، وغرفة السكرتير فيها بعض المقاعد ومكتب واحد لسكرتير واحد. استأذنا في الزيارة فسمح وعاد يدعونا للمقابلة على الفور.

ثم قصدنا وزارة المعارف وتشرفنا بمقابلة معالي الشيخ

محمد رضا الشبيبي في مكتبه، ودار الحديث بيننا طويلاً حول ما تجري عليه في مصر وما تجري عليه العراق فيما يتعلق بميزانية التعليم ونظمه وأغراضه، ودرجة تقدمه وانتشاره. وتناول الشباوي بك الموضوع بالشرح والتعليق، فجاذبه الكلام معالي الوزير في نفس الروح فأنصت إليه، وكنا كلما هممنا بالانصراف طلب المزيد. والوزير يلبس العمامة والجبة والقفطان والعباءة على طريقة علماء النجف، وهو من وجهاء الشيعة ومعدود من كبار أدباء العراق. ورأيته في الوليمة التي أقامها سعادة صبحي بك الدفتري أمين العاصمة السابق تكريماً لنا، فكان كثير الصمت لا يتكلم إلا همساً، وأحياناً يسر بالنكتة إلى أقرب الجالسين منه فيرتفع صوتهم بالضحك. ورأيته في المرة الثانية لما أن أردنا الزيارة فكان كثير المجاملة لطيف الدعابة.

ودواوين وزارة المعارف في بناء قديم أرضي من طابق واحد، ولا يقيم فيه غير الوزير والمديرون. وأما المفتشون ومديرو التعليم فيقيمون في مناطقهم بالأقاليم.

ثم توجهنا لزيارة دار المعلمين الابتدائية فاستقبلنا ناظرها الأستاذ السيد خالد الهاشمي وأساتذتها، وألقى حضرته كلمة لطيفة ضمنها ما في نفسه ونفس زملائه من المودة والإعجاب بالنهضة المصرية، ورد عليه الشباوي بك بكلمة أخرى شرح فيها ما رآه من مظاهر النهضة العراقية، وما يحتاجه القطر الشقيق من تقدم ورقي.

وعند الظهر توجهنا جميعاً لزيارة دار المفوضية المصرية ببغداد، واستقبلنا سعادة عبد الرحمن بك عزام في داره استقبالاً حافلاً. وعزام بك شخصية بارزة محبوبة جداً من العراقيين شعباً وحكومة. ومنزله هناك من أهم الدور، يقصده الكبير والصغير للوساطة والمشورة. ودعانا سعادته في داره مرة على الشاي ومرتين على العشاء، الأولى مع أفراد أسرته وموظفي المفوضية، والثانية مع فخامة رئيس الحكومة ووزير المعارف ومديريها. ويمتاز عزام بك بنزعة عربية واضحة. وحديثه طريف لطيف، يحدثك عن شئون مصر والعراق وإيران وأفغان وتركيا، بصراحة العارف الخبير المطلع على حقائق الأمور، ويرجع بك إلى ماضيه في الحرب العظمى، وجهاده مع عرب طرابلس، واشتراكه ومساهمته. سألته: هل نهضة الشرق الحالية نهضة حقيقية؟ قال: بلا شك، ولكن يعوزها المال والرجال؛ أما المال فللقيام بالمشروعات العمرانية التي يفتقر إليها الشرق أكبر افتقار، وأما الرجال فللحكم الصالح الذي أساسه العقل الشامل والتعليم الفني.



منظر خارجي لجامع سيدي الجيلاني

حدثنا أحد الرفقاء قال: بين العراق وانجلترا معاهدة تشبه التي بين مصر وانجلترا، ومن نصوصها شرط يقضي بشراء السلاح اللازم للجيش العراقي من انجلترا دون غيرها، ففي وزارة جلالة السيد حكمت سليمان أبطأت المصانع الانجليزية في توريد ما طلبته العراق من السلاح، فولت العراق وجهها شطر ألمانيا، واستوردت حاجتها منه، فقام نزاع بين الطرفين على هذه المسألة، وبعد مناقشة طويلة لجأ الطرفان إلى التحكيم، وانتخبا عزام بك حكماً. ثم قال: أتدري ما الذي حكم به؟

قلت: لا.

قال: فليس لنا بصوت ما نحتاجه.

قلت: بارك الله فيه، وهل رضيتم هذا الحكم؟

قال: لا. لم نرض بالحكم نفسه، فقد كنا واثقين من عدالة قضيتنا، ومن حسن تقدير الحكم لظروفنا. ولكن الذي أدهشنا حقاً هو سلوك اللورد البريطاني؛ إنه كان أول من توجه بالتهنئة لجلالته على هذا الحكم!

وبعد الظهر زرنا بصحبة السيد رشيد علي العبيدي معتمد نادي المعارف، مسجدي الشيخ عبد القادر الجيلاني وحضرة الإمام الأعظم أبي حنيفة، وكلاهما من جوامع السنة من الطراز التركي فيهما ضخامة البناء وروعة الهندسة؛ ولكن ليس فيهما رشاقة الفن التي تتجلى في جوامع الشيعة؛ ورأيت على قبر الإمام الأعظم لوحة تحمل [illegible] نقشوا عليها بخط جلي قصيدة من الشعر مطلعها:

إذا ما الناس فقهاً قايسونا [illegible]
أتيناهم بقياس صليب [illegible] مصيب [illegible]

ثم توجهنا لزيارة حضرة الإمامين [illegible] (موسى الكاظم ومحمد الجواد) خارج بغداد، واستقبلنا في صحن



منظر خارجي لجامع الكاظمية

الحرم شيخ القوم، وهو وقور الطلعة كبير العمامة، يلتف في طربوشه الطويل بعمامة خضراء، فطاف بنا أرجاء المكان،



تركيب الضريح في جامع الكاظمية

وكان يطوف بالرجال والنساء جماعات جماعات، ومع كل جماعة مطوف يرتل زيارة بعبارة محزنة وصوت تخنقه العبرات، وهم من حوله يولولون ويبكون ويرددون ما يقول.

والجامع تحفة فنية غاية في الإبداع: بجدرانه المغطاة بالقيشاني الأزرق، وقبته المكسوة بصفائح الذهب، ومآذنه الرشيقة الجميلة، وقطع المرايا المتناثرة التي تتلألأ في العقود والأعمدة، وتركيبة الفضة على الضريح، كل ذلك نسيج من الفن الرائع لا يغني فيه الوصف بل يجب أن تتمتع برؤيته العين.

(للكلام بقية) الدمرداش محمد

بين المجلة والقراء

محمد وصفي

« وبعد فقد كانت ساعة سعيدة تلك التي قرأت فيها عدد « الثقافة » ... [illegible] ... لكل [illegible] ... أو تستحق [illegible] ...

« وإني [illegible] ... الأدب السوري ومؤلفيه [illegible] ... المشتغلة [illegible] من كتابه ... وهل تشمل [illegible] ... [illegible] لا تنطق إلا باللهجة العربية في جميع الأقطار [illegible] ... »

دمشق

(الثقافة) تشكر الكاتب [illegible] على حسن توجيهه ، والحق أن [illegible] والمجاورين يعرفون عن أدباء مصر ومؤلفيها أكثر مما يعرفه المصريون عن أدباء الشام والعراق وغيرهم . وهذا تقصير لا ينكر ، ولكننا نرى أن التبعة تقع على أدباء مصر وأدباء الأقطار الشرقية على السواء ، فأدباء مصر يجب أن يعرفوا القراء بآداب غيرهم كما أن أدباء الأقطار الشرقية يجب أن يساهموا في ذلك . والثقافة توجه نظر الأدباء المصريين إلى هذا الواجب ، كما تفتح صدرها للمقالات القيمة التي يكتبها أدباء سوريا والعراق وغيرهم للتعريف بأدبائهم ومؤلفاتهم .

* * *

وردت على المجلة كتب كثيرة يطلب أصحابها أن نعنى الحرة بالشعر كما عنيت بالنثر ، وقد رأت « الثقافة » من رأيهم [illegible] جديداً [illegible] من عيونه خير ما في الشعر العربي القديم والحديث ، مصحوباً شرحاً ، كما ستنشر في هذا الباب خير ما يرد علينا من شعر المعاصرين . [illegible] النقد القويم .

* * *

أرجو [illegible] من القراء — أن تعنوا في [illegible] الشرح [illegible] التي أراها في بعض [illegible]

محمد عز الدين خليل — طالب

[illegible] كلمات واصطلاحات تمكن الطالب أن [illegible] وهذه لا يصح شرحها ، بل على كل طالب أن يعتمد فيها على نفسه ويبذلها البحث والدرس وكشف ما غمض ، فذلك خير من أن يعتمد على غيره في كل شيء ، وما يحصله الطالب بنفسه خير ألف مرة مما يحصله له غيره ، ومن العار على مجلة أن تشرح كلمة « دكتاتورية » و « جغرافية » وما هي « أثينا » ، ومعنى مفردات لغوية يعرفها القاصر بحثه عنها في المعجم الذي بين يديه ، كما أن من العار أن يرضى الطالب بجهله لهذه الكلمات ، فيمر عليها من غير بحث ودرس حتى تقدمها له مجلة سيارة ، ولكن هناك كلمات من الصعب على الطالب العثور عليها فيما بين يديه من معاجم ، أو أن يكون لها استعمال خاص في أوساط خاصة وهذه لا نألو جهداً في شرحها عند استعمالها

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسي [illegible] رقم ٩ بعابدين — مصر